ثُمَّ أعودُ وحيداً

اسم الرواية: **ثم أعود وحيدًا**

اسم المؤلف: **محمد مصطفى**

تدقيق لغوي: **مها أحمد**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

تنسيق داخلي: **أسماء عطا**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣١٢**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٩٣**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

مبادرة كيانك

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

محمد مصطفى

ثُم أعودْ وحيداً

روايَة

إبحار
للنشر والتوزيع

تتشتت افكاري بين الحُب والغدر
والاشتياق والبؤس والموت والجحيم.

الفصل الاول

الإسكندريه حي "سيدي بشر"

يعمل "إسماعيل" "كميكانيكي" في ورشة الحاج "صُبحي". شاب في الرابعة والعشرين

من عمره ، يقوم بعمله بحرفيه ، يذهب إليه الكثير من السائقين ؛ لأمانته وإتقانه في عمله.

يذهب يوميًا من الساعة الثانية ظهرًا إلى الساعة الثامنة مساءً ، يحبه الحاج "صُبحي"؛ لأنه

يرى فيه سن شبابه الذي مضى ، يُعتبر الحاج "صُبحي" صديق "إسماعيل" الوحيد

بعد صديقتهُ المقربة "ميار".

يقضيان وقت العمل سويًا يتحدثان في أمورٍ شتى لتهون عليهم ساعات العمل الشاقة ، هو

رجل في نهاية العقد الخامس من عمره ، رجل وحيد لا أبناء لديه ، توفت زوجته قبل سنوات.

لا يملك شيئًا غير ورشته التي يعمل فيها "إسماعيل" كعامل أساسي فيها، ويعتبر

مثل ابنه الذي لم يحظ بهِ.

يعيش "إسماعيل" مع أسرتهِ المكونة من ثلاثة أفراد ، يحيا حياةً لا بأس بها ، تخرج من

"المعهد الفني الصناعي" منذ عامٍ ، كان يريد أن يدخل "كلية الهندسة" ولكن كان لمجموعهِ

في الثانوية العامة قرار آخر ليحول مسار حياتهُ ، ولكنه أصر على هذا المجال.

والدهُ يعمل كسائق على سيارتهِ الأجرة ، فهي مهنتهُ الوحيدة التي يعرفها منذ زمنٍ ،

أحترف "إسماعيل مهنتهُ منذ ما يقارب الخمس سنوات.

كان مولعًا "بالميكانيكا" منذ صغره ، فكان والده دومًا يراه منكبًا تحت سيارته الأجرة ولا

يعرف الوالد ماذا يفعل إبنه بالضبط ، وعندما سأله في يومٍ من الأيام:

– يابني أنت بتعمل إيه؟ ماتقوم تذاكر كلمتين بدل الهبل اللي أنت بتعمله ده.

ليقول "إسماعيل" بعفوية الأطفال:

– يابابا سيبني والنبي ، أنا عايز أعرف هي إزاى "زوبة" بتمشي.

"زوبة" اسم أطلقه "إسماعيل" هو وأصدقاؤه في المدرسة الابتدائية على سيارة أبيه لصغر

حجمها. وكانوا دومًا يرددون عندما تتعطل السيارة عندما كان ينقلهم والد إسماعيل من وإلى المدرسه.

"إدي زووووبه زقة"

– إزاي بتمشي؟ أنت عبيط ياواد أنت؟! قوم اقف على حيلك بدل ما والله ما اخليك تيجي

ناحيتها تاني.

كان يشعر بالضيق فهو يريد فعلًا أن يصنع واحده مثلها ، وكان يفكر دومًا كيف

صنعوها؟

فإن كان مَن صنعها فكر وتعب حتى قام بهذا العمل إذاً فأنا قادر أيضًا ، ولكن أباه عندما

كان يريد أن يهون على ابنه كان يأخذه معه إلى ورشة الإصلاحات ؛ ليرى "إسماعيل"

كيف يقوم العاملين بصيانتها أمامه ، فكانت هذه متعة تتخطى جميع الحدود بالنسبة إليه.

يعشق مهنته أحبها وأخذها كتدريبٍ يساعده على اجتياز سنوات دراسته بسهولة وليسهل

عليه مصاريف دراسته.

"إسماعيل" ذو بنية قوية ، شعره أسود كثيف ، وجهه دائري يميل إلى السُمره بسبب طبيعة

عمله ، يومه روتيني ولكنه يعشق ذلك الروتين ، يجد لذة رائعه في القيام بهذا الروتين

اليومي كأنه خُلق لهذا.

يستيقظ في حوالي الساعة التاسعة صباحًا ، يقوم بأداء الفرض الصباحي من الصلاة ويشكر

الله على نعمه عليه ، يدعو الله أن يصلح حاله وأن يكون سبب في إسعاد والديه ، فهو يشقى

ويتعب لمساعدة والده في أمور المنزل، اعترض والده أول الأمر ولكنه رضخ إلى قرار ابنه ووافق في نهاية الأمر بعد إلحاحٍ من زوجته.

بعد أن ينتهي"إسماعيل" من أداء الفريضة الصباحية يذهب إلى والديه؛ ليتناولوا سويًا وجبة الفطور، جلسة عائلية اعتادوا أن يقضوا تلك الساعات الأولى من الصباح من اليوم سويًا.

:بعد أن انتهوا من وجبتهم بدأ إسماعيل مخاطبًا والده

– ياسطا "داوود" الله يكرمك خلص بسرعة عشان تلحق توصلني للسنتر، عندي امتحان انهارده.

– حاضر ياعم "الخواجه"، متتعبناش معاك بقى.

لُقب "إسماعيل" "بالخواجه" منذ صغره ، سأله ذات مره مُعلم المدرسة أمام أصدقائه:

– ها يا إسماعيل ، قولي بقى ياسيدي عايز تبقى إيه لما تكبر؟

– عايز أعمل عربيات، سمعت من "الميكانيكي" اللي بابا بيودي عنده عربيته إن العربيه بتاعته مصنوعه في"ألمانيا"، فأنا عايز أسافر "ألمانيا" عشان أعرف بيعملوها إزاى ، واعمل واحده أحلى منها كمان.

– مااااشي ياعم هانت هتبقى "خواجه" بقى وتتعوج علينا.

ومنذ ذلك الوقت وأصداقاؤه يلقبونه "بإسماعيل الخواجه".

يذهب "إسماعيل" يوميًا إلى السنترالتعليمي لتعليم اللغات ، فمنذ بضعة أشهر وهو يتناوب عليه ، يريد أن يحصل على شهاده معتمدة باللغة

"الألمانية" ، يحلم بالسفر إلى "ألمانيا" يومًا ما، فهو يعشق الماكينات مُنذ صغره ، يريد أن يُطور من نفسه في مكانٍ جديد ، أن يرى العالم من حوله، فيُحاول فكلنا نحاول للوصول إلى أهدافنا ، منا من يصل ، ومنا لا يستطيع حتى أن يخطو خطوة نحو حُلمه بسبب معوقات الحياة ، ولكننا خُلقنا لنحاول ونعمر الأرض بأحلامنا؛ فالواقع الذي نعيشه هو في الأصل عبارة عن أحلام لأشخاصٍ نساهم الزمن.

ارتدى"إسماعيل" ملابسه وحمل حقيبته الصغيرة ودعا الله في سره أن يوفقه لما هو قادم ، فإمتحان اليوم هو امتحان مهم بالنسبة إليه ليتخطى المستوى الحالي ويدخل في المستوي الجديد من التدريب على "اللغة الألمانيه".

نزل "إسماعيل" ووالده.

ركب كل منهما السيارة الأجرة الخاصة بالحاج "داوود" وبادر بالكلام قائلًا:

– واد يا إسماعيل ، عايزك تركز النهارده مش عايزينك تشغل بالك بحاجة تانية ، سيبها على الله وهو هيحلهالك من عنده.

– من غير ما تقول يابابا ، وإن شاء الله هحقق اللي نفسي فيه وهاخدك أنت وأمي تعيشوا معايا في "ألمانيا" لما ربنا يكرم بس ، بس أهم حاجه الصبر واهو بالمره أعملك عربية بدل الكحيانه اللي بقت معاك دي.

فضحك الحاج داوود قائلًا لولده:

– دلوقتي بقت كحيانه؟ نسيت رميتك تحتيها كل لما ترجع من المدرسه وتقولي زي الأهبل عايز أعرف بتمشي إزاي؟ نسيت نفسك يا "ابوشخه" أنت؟

فضحك الأب والابن سويًا وأنتهيا من المحادثه بينهما ، وبدأ كل منهما يلقي بتركيزه على ما يدور في باله ؛ فالحاج "داوود" يتمنى أن يساعد ابنه في ما يفعله وأن يراه إنسانًا قادرًا على مواجهة الحياة ويساعده على تحقيق حُلمه.

أما إسماعيل فكان شاردًا ، يفكر في ما يجب أن يفعله وما يجب عليه ألا يفعله، لا يريد أن يستسلم لوسواس الشيطّان وأن يحيده عن طريقه.

وصلوا إلى المكان المحدد ونزل "إسماعيل" وألقى التحية الأخيرة على والدهُ ، وتركهُ ودخل إلى السنترالتعليمي ليجد "ميار" في الخارج تنتظرهُ ، فلمح اللهفة التي تطل من عينيها ، وفرحتها عندما رأتهُ ، ولكنه يعلم سبب فرحتها فحاول ألا يضايقها ، فبدأت "ميار" بالكلام:

– فينك يابيه كُل ده واقفه مستنياك وبتصل بيك مش بترد على تليفونك؟

إنتبه "إسماعيل" بأنهُ نسى هاتفهُ المحمول في المنزل قائلًا "لميار":

– "هههههه"آسف يامياروالله غصب عني دماغي كانت مشغوله في إمتحان النهارده ونسيت التليفون في البيت.

ميار شابة أصغر من إسماعيل بعامين ، تعرفا على بعضهما بالصدفة في السنتر التعليمي ، وكانا قريبين من بعضهما البعض طول فترة الدراسة ، هي شابة جميلة، متوسطة القامة ، وجهها بشوش يريد كل من يراها أن يتعرف إليها ، حجابها يضيف إليها من الجمال كل الجمال ، لبقة في الكلام ، اعترفت بحبها "لإسماعيل" منذ شهرين فقط.

شابة قوية استطاعت أن تبوح بمشاعرها بدون خوفٍ ، وطمأنها أكثر بأن مشاعرها لن تتحطم هو ثقتها في عقلية "إسماعيل" وتفكيره الذي يسبق عمره بسنواتٍ.

ردت ميار على كلام "إسماعيل" قائلة:

– طيب يلا يا عم الخواجه نقعد في الكافيتريا شويه عشان نراجع أي حاجه ، ولا بلاش الكافيتريا عرفاك مش بتحب تُقعد في الزحمه.

– آه ياختي مش بحب أقعد في الزحمه بتخنق بعيد عنك وبحس بقرف كدا.

– بتحس بقرف؟ يابني هتشلني فين القرف ياعني؟! ولا أنت من كتر ما بتقعد لوحدك خلاص اتعودت.

– تقدري تقولي كدا.

– طيب يلا مش وقت فلسفه دلوقتي عندنا امتحان ، تعالى نقعد شويه على البحر لحد ما الامتحان يبدأ.

يعشق إسماعيل البحر بطريقة لا توصف ، بإمكانهُ أن يقضي ساعاتٍ طويلة أمامه دون أن يمل، وعندما علمت "ميار" هذا الموضوع كانت تجلس معه وتشاركه لحظات فرحه بذلك المنظر.

وافق "إسماعيل" على اقتراحها ، وذهبا سويًا إلى خط الكورنيش ليتخذا مكانًا خاصًا بهم بعيدًا عن الضجيج؛ حتى يستطيعوا أن يراجعا دروسهما.

– ها ياسيدي بلا كافيتريا بلا بتاع البحر اللي بتحبه أهو، إيه اللي معلقك بالقاعده ديه مش عارفه انا؟

– عادي يامیار بحبه ، وكل ما اقعد قدامه بحس بشعور النشوه في إني أحقق حلمي ، يعني بصي كدا للبحر مش هتعرفي تجيبي آخره بعينك ، ده بيحمسني أكتر إني اكتشف إيه اللي وراه.

– ياااعم"كلومبوس"إنت مش كده.

- ولا "كلومبوس" ولا حاجه ، بس دي فكرة في دماغي أو ده اللي بيدور في دماغي عمومًا.

- ماشي ياسيدي ، هتاخدني معاك بقي ، هساعدك على فكره.

- أكيد.

- ومالك بتقولها من تحت ضرسك ليه؟

- ولا من تحت ضرسي ولا حاجه والله.

- مالك ياواد؟ شكلك مكتئب ، احكيلي.

- والامتحان؟ والمراجعه؟

- ياسيدي عادي كده كده مذاكرين بس يلا احكي.

- مافيش حاجه أحكيها صدقيني ، بس أنا عايز أحقق الحلم ده مع حد بحبه.

- يخربيتك هو انت مش بتحبني؟؟!

قالتها بعفوية ولكنهُ يدرك كم الحب الذي تكنهُ له ، ولكن بأسلوبه الطيب استطاع أن يحتفظ بها كصديقة مقربة لهُ وأقنعها بأسبابه التي تحول من عدم قدرته على حب شخصٍ آخر، فقال "إسماعيل" بنفس العفوية:

- بحبك طبعًا.

تورد خد "ميار" من أثر وقوع الكلمة عليها ، ولكنها تعرف أنه يقولها بغرض الصداقة ، ولكنها شعرت بشعورٍ غريب عندما سمعتها منه فردت بنفس الخجل الواضح عليها:

- "إحم إحم"، طيب إيه مُشكلتك بقى؟.

- يابنتي افهمي ، إحنا صحاب ، أنا حبيت مرة وأنا صغير وخلاص راحت مني ، أو مش عارف هي راحت مني ليه ، أانا حكيتلك عن الموضوع ده تقريبًا قبل كده ، ومظنش إني هنساها ولا هنسى الموضوع ده إنما إنتي في حاجه جوايا بتحبك ، عيزاكي على طول ، بس مش شايف فيكي إن ينفع تبقي مراتي مثلًا، ومش قصدي كده إني ازعلك والله لا بس زي ما قولتلك أكتر من مره أنا صعب إني أحب غيرها أو أشوف غيرها هي اللي تكمل حياتها معايا.

قال "إسماعيل" ذلك ناظراً إلى البحر ليبتعد عن عيون "ميار" التي يعرف أنها ستقول الكثير بعد كلامه هذا ، ولا يريد أن يرى حزنها بسببه .

- يا إسماعيل هو أنت عايش في دور حب ابتدائي ده؟ ده حب طفولي يابني ، بقى عندك حاجه وعشرين سنه ولسه بتفكر في بنت حبيتها وأنت ف تالته ابتدائي؟ على فكره وأنا بحبك جدًا والله بس عيزاك تفكر برضه في الموضوع ده زي ما بتفكر في مستقبلك كده. مش بقولك كده والله عشان افتح مواضيع إحنا قفلناها خلاص بس عشان مصلحتك والله ومش شرط أكون انا ياسيدي ، أي حد تاني بس مينفعش كده.

تريد أن تراه سعيدًا أيًا كان مَن يسعده؛ فهذا هو الحب بالنسبة إليها؛ فهي تحاول أن تكسب قلبه ، وإن لم تستطع فعل ذلك ستساعده فقط ليكون سعيدًا بحياته ، ومع شخصٍ يستحقه ويقدره حق تقديره.

- يابنتي مين هترضى تتجوز ميكانيكي يعني؟

- يابني وهو أنت هتفضل طول عمرك كده؟ ومشكلتك إنك ميكانيكي يعني؟

- أها، وإنتي مش واخده بالك إني بعشق الشغل ده ولا إيه ومش هعرف اشتغل غيره؟

- ماشي بس أنت هتبقي في بلد تانية بوضع تاني ، بوضع جديد بعيدًا عن المسميات الحقيره بتاعت بلدنا دي!

- ياشيخه؟ وافرضي اللي عايزه محصلش؟ وأنا معرفش أي حاجه في البلد دي غير إني ابقى ميكانيكي ، إنتي بزمتك إيه اللي مخليكي أصلًا تعرفي واحد شبهي؟!

وقع أثر الكلمة عليها كأثر ضربة على الوجه فقالت له:

- واحد شبهك؟ لا أنت غريب أوي النهارده ، قولتلك أنا مش تافهه ولا أنا متخلفه زي باقي الناس اللي عايشين معاهم ، أنت بتتعب وبتشقى عشان هدف في دماغك ، وإنك حابب ده مش عيب يعني ، وبعدين ما أنت اللي يشوفك يقول عليك رجل أعمال أصلًا.

دائمًا كان يهتم إسماعيل بمظهرهُ ؛ فمن يراه وهو منكب تحت السيارات في ورشة الحاج "صبحي" لا يراه وهو خارجها شخص مختلف تمامًا.

فقال بحزنٍ واضح.

- بس في الحقيقه؟

- واحد بيشقى عشان يعيش عيشه بالحلال يا إسماعيل.

تعشقه لإصراره على مواصلة حُلمه ، تعشقه بكل كيانها ، ولا تعرف لماذا؟! ولكنها تعشقه.

انقضى الوقت سريعًا وقرروا الرجوع إلى "السنترالتعليمي" من أجل الإمتحان المُنتظر ، دخلوا إلى القاعة المحددة للإمتحان وبدأ توزيع الأوراق ، ولتمر ساعة الامتحان.

ها يابنتي عملتي إيه؟ –

– عيب عليك مش لوحدك اللي عايز يبقى خواجه برضه ، وأنت عملت إيه؟

– لا الحمد لله مكنتش متوقع إني هحل كويس كده.

– طيب ياسيدي تمام ، ها هتعمل إيه دلوقتي؟

– ولا حاجه يادوب الحق أروح واغير هدومي عشان متأخرش على الشغل ، عندي شغل كتير النهارده مأجله من إمبارح عشان أعرف أذاكر، وإنتي هتعملي إيه؟

– ولا حاجه هروح أنااااام مطبقه من إمبارح ولما أصحى هكلمك ، وياريت تخلي تليفونك معاك ياعم بقى.

– "هههههه" ماشي بس خلي بالك من نفسك.

– حاضر وأنت كمان..

تبادل كل منهما تحية الوداع ، ورأى نظرتها ، نظرة الحزن في وداعها ، تحب وجوده بجانبها ، ويعلم "إسماعيل" ذلك جيدًا، لكنه لا يستطيع أن يهب قلبه إلى أحدٍ آخر ويظلمه معه وهو لا يستطيع أن ينسى حبه الطفولي كما تزعم "ميار"، ومضى كل واحدٍ منهما في طريقه. اتخذ إسماعيل طريقه إلى المنزل سيرًا على الأقدام ، مسافة ليست بكبيرة ولكنها كفيلة أن تؤخره على

موعد عمله ، اتخذ طريقًا أطول من العادة ؛ فإنه يريد أن يتمشى قليلًا ولكن لا يه م، سيعوض ذلك ليلًا بعد ساعات عمله وينجز ما تبقى له اليوم.

فبدأ في حوارٍ مع نفسه ليسليه طوال طريقه: "طب وبعدين؟ هو أنا فعلًا كنت بحبها؟ ولا ده حب طفولي زي ما ميار قالت؟ بس إزاي حب طفولي وأنا فعلًا حاسس لما كبرت إني برضه لو شوفتها وأنا كبير هفضل بحبها زي ما حبيتها أول مرة شوفتها فيها ، بس إيه الغباء ده يعني ، واحد بيفكر إنه يُخرج بره البلد أصلًا ، هتكون هي مستنياني يعني؟ مهو ممكن فعلًا كان حب طفولي بالنسبالها ، وهي فعلًا أدركت ده وعاشت حياتها عادي جدًا، ليه بفكر فيها؟ ليه بحبها الحب ده وأنا آخر مره شوفتها كان من ١٨ سنه مثلًا أو أكتر. أنا بحبك يا "أسماء"، بحبك جدًا رغم إني مش هشوفك تاني ، أنا تعبت من كتر ما بفكر فيكي، تعبت بجد.

تجسدت الذكريات ببطءٍ ، مثل فقاعاتٍ تطفوعلى سطح بئرٍ مظلمة بلا قرار، كان يسير معتمدًا على قدميه في معرفة طريق الوصول إلى المنزل ، ولكن عقله كان في عالم آخر من الذكريات ؛ فهي كانت كل ذكرياته ومازالت تحفر داخله ذكريات جديدة يصنعها هو بنفسه معها.

لفت انتباهه إعلان لشركة "سياحية" تعلن عن رحلة إلى مدينة السحر والجمال مدينة "دهب"، ومكتوب فيها إن ميعاد الرحلة بعد أسبوع ، فأخذ رقم صاحب الإعلان ودوّنه في دفتره ، لا يعلم لماذا فعل ذلك ولكنه فعل! وأكمل طريقه.

أفاق من شروده عندما وجد نفسه أمام المنزل ، فتحت والدته الباب وسألته على ما أنجزه في امتحان اليوم فطمأنها ودخل إلى غرفته ليغير ملابسه ، ثم نزل إلى ورشة عمله ، فقال الحاج "صُبحي" مازحًا:

- إيه ياعم الخواجه ما بدري.

- آسف والله ياراجل ياطيب بس قولت أتمشى شويه بعد الامتحان.

- آها مع البت الحلوه إياها؟

- "هههههههه" لا والله لوحدي وبعدين مالك ومالها؟

- ياض البت حلوه وجميله من ساعة ما جتلك في المره اللي أنت نسيت الكتب بتاعتك معاها وجت تديهالك وأنا نفوخي لف مني.

- "هههههههههههه" لا ياحج صُبحي دي زميلتي عادي بس بنت جدعه والله.

- ربنا يتمملكم على خير.

- يتمملنا على خير؟ خلاص خلتني أتجوزتها؟

- "هههههههه" هتكون من نصيبك ماتخفش.

- "لا إله إلا الله" ياحاج صُبحي، بلاش شغل أسامه منير ده الله يكرمك.

- "محمد رسول الله"، ياسيدي بس خدها من واحد عاش ولف كتير واحد عاش فوق الستين سنه شاف ولف وعرف.

- ياحاج أنتوا أيامكم غير أيامنا فمتجيش تديني نصايح ستيناتي الله يكرمك.

فضحك قائلًا:

- "هههههههه" مهو ده اللي الشباب اللي زيك مفكراه ، آه عيشتنا غير عيشتكم بس المواقف بتتكرر يابني حتى لو بطريقه مختلفه ، وبعدين هو أنا

بكلمك من القبر؟ ما أنا لسه عايش معاك أهو برضه في نفس الزمن اللي أنت عايش فيه وبكلمك بدماغك.

مواقف حياتية تتكرر كل يومٍ من قديم الأزل ، نفس المشاعر ونفس الطموحات مع اختلاف الوسائل في الأزمنة الماضية. ضحك "إسماعيل" ولم يعقب مختصرًا لسيلٍ من الكلام ، فهو يعرف بأنه سيدخل إلى دوامة من الكلام مع الحاج "صُبحي" في ذلك الموضوع فاختصر كل هذا وبدأ في العمل المؤجل لينجزه.

****

- ألف مبروووووك يا مروان على المكتب.

دخلت "أروى" على خطيبها وشريكها بالعمل "مروان"، تبارك لهُ نجاح مشروعهما الصغير، وقد نجحا في تحقيق الحُلم أخيراً ومستعدان لتطويره مع الوقت ومجهوداتهم.

- "هههههههههه" ياحبيبتي مهو ده تعبي وتعبك ، إحنا تعبنا لحد ما قدرنا نحقق اللي كنا بنفكر فيه.

-ياحبيبي ربنا يخليك ليا، والله أنا مبسوطة جدًا إني قدرت أساعدك ونحقق اللي كان نفسك فيه.

- مهو كل ده بفضل مجهوداتك ياحبيبتي، وبعدين ما إنتي كمان كان نفسك إننا نعمل المكتب ده.

- بس إيه رأيك عملالك شغل دعايه جامد يجيب من الآخر.

– لا فعلًا والله إنتي أبدعتي في الموضوع ده ، وفي ناس كتير حجزت في أول رحله عملناها وإن شاء الله نقدر نكملها صح ، وتكون الرحله كويسه وبتنظيم كويس.

كانا يجلسان داخل غرفة الاجتماعات الصغيرة لموظفين المكتب ، يناقشان أشياء جديدة بالنسبة إلى الدعايا سواء إلكترونية أو عن طريق الملصقات ، فكان مكتبهما الصغير عبارة عن مكتب "للسفريات والسياحة الداخلية".

"مروان" شاب في منتصف عقده الثاني من عمره ، تخرج من كلية "السياحة والفنادق" هو و"أروى" خطيبته ، فهما يعرفان بعضهما البعض منذ أن كانا أطفالًا في المرحلة الابتدائية ، أكملا دراستهما سويًا حتى تخرجا من الجامعة وافتتحا مشروعها الخاص.

"مروان" شاب طموح يعشق الحياة ، لديه إصرار وعزيمة لكل شيءٍ يفعله، همه الوحيد إسعاد "أروى" وأن يُلبي طلباتها حتى لو كانت فوق تحمله ؛ فهو يعشقها فوق العشق عشقًا، وكذلك تعشقه "أروى" تتمنى أن يقترب موعد زفافهما بأسرع وقتٍ ، ولكنهما اتفقا أن يكون الزفاف بعد نجاح مكتبهما ليتفرغا لمشروع زواجهما.

تعرف "أروى" كل شيء عن "مروان" ؛ تعرف كيف يفكر، تستطيع أن تمحو آثار الحزن من على وجهه بكلمة واحدة ، وكذلك بالنسبة إلى"أروى"، يعتبر "مروان" الشخص الوحيد القادر على إسعادها بأسهل الطرق وأصعبها ، لا ترى أي رجلٍ في حياتها سواه بعد وفاة والدها منذ ثماني سنوات ، فاستطاع "مروان " أن يعوضها فقدان والدها ولم يشعرها يومًا بأنها وحيدة ، ولكن لكل منهما شخصية مختلفة عن الآخر، استطاعا بحبهما لبعضهما البعض أن يكونا على وفاقٍ دائمًا، انتهيا من ترتيبات وتنظيم الرحلة

القادمة وكل منهما يعلم دوره ، سيكونان أيضًا المشرفين الخاصين بالرحلة ليشرفا علي حسن سير عملهما على أرض الواقع.

دخلت ا"حنين" غرفة الاجتماعات وحيتهما بابتسامة كبيرة:

– مبروووووك ياشباااب، بجد والله مبسوطة باللي قدرتوا تعملوه.

– ربنا يخليكي ياحنين والله بجد شكرًا على كل حاجه عملتيها معانا ، إنتي ساعدتينا كتير.

فقال "مروان" معقبًا على كلام أروي:

– صح والله يا أروى، حنين من الناس الكويسه اللي الواحد فعلًا كان اختياره صح لما اعتمد عليها.

فردت "حنين" بابتسامة راضية:

– ربنا يخليكم بجد، وإن شاءالله أنا معاكم لحد ما المكتب يكبر ويبقى شركه كبيره معروفه في مصر كلها.

"حنين" شابة في الثلاثين من عمرها ، تعيش وحيدة في منزل والداها بعد أن تركوها وذهبوا إلى خارج مصر من أجل العمل ، رفضت حنين السفر معهم ورضيت بأن تبقى في مصر، لا تريد أن تذهب إلى خارج بلدها ؛ فهي تحب ذلك المكان الذي يحتوي على كل ذكرياتها وأحلامها ، كانت تعمل في إحدى شركات السياحة ، ولكنها ملت العمل في ذلك المكان ، فقررت أن تترك تلك الشركة وتذهب إلى أخرى ، ولكن حينما علمت بوجود مكان جديد سوف يشيد في نفس المجال تقدمت بطلبها بالالتحاق بوظيفة فيه ، فوافق "مروان" على طلبها ، وكانت فرصة جيدة له بأنه وجد شخصًا خبيرًا في ذلك المجال وكان اختياره صائبًا ، أما بالنسبة إليها فكانت سعيدة بأن

مجهودها الذي ستقوم به سيلاقي تشجيع من حولها وسوف تستطي عإثبات نفسها بسرعة لخبرتها السابقة طبعًا.

قال "مروان" مُغيرًا مجرى الحديث:

- يلا ياشباب حضروا نفسكم عشان الرحله يوم الخميس اللي جاي "إن شاءالله" وعايزين نستعد كويس.

- أكيد.

- إحنا مش ناقصنا غير حاجات بسيطه وتكون الدنيا تمام "إن شاءالله".

فردت "حنين" معقبة:

- أكيد يامروان ، سيبلي أنا الموضوع ده ، هستأذنكم أنا بقى عشان في حاجات عايزه أخلصها وعندي كام مشوار عايز أعمله.

فقالت "أروى":

- ماشي ياحنين خلصي وكلميني نقعد شويه مع بعض.

- حاضر يا "أروى".

فخرجت "حنين" وتركت "مروان" و "أروى" في الغرفة فقالت "أروى" بعفوية:

- واد يامروان، مش ممكن الأتوبيس يعطل بينا في السكه؟ وإحنا هنبقى في صحرا؟

كانت بطبيعتها تحسب حساب لأي شيء حتى لو كان صغيرًا ، فكانت تهتم بكل التفاصيل الصغيرة في حياتها ولا تترك لها شيئًا إلا وتضع بصمتها عليه حتى يطمئن قلبها

- "لا إله إلا الله"، يابنتي بلاش فقر بقى بلاش فقر لسه بنقول الدنيا بقت تمام ، وإنتي تقوليلي الأتوبيس يعطل ، هبقى أجيب ياستي الواد "إسماعيل الخواجه" يطلع معانا الرحله عشان لو حصل حاجه في الأتوبيس يتصرف هو.

فردت "أروى"متسائلة:

- إسماعيل مين؟

- إسماعيل مين؟ إسماعيل يابنتي بتاع مدرسة الابتدائي ، العصابه القديمه اللي كنا عاملينها زمان.

- إسماااااعيل، ياااه الواد ده راح فين صحيح فاكر لما كان بيقف قدام عربية مستر إبراهيم ويقوله عربيتك المعفنه ديه ياتروح تصلحها ياتسبهالي أنا أظبطهالك ، كان مجنون عربيات الواد ده.

فرد "مروان" بنبرة حزينة على فقدانه أعز أصدقاء طفولته وقال:

- والله يابنتي ولا أعرف عنه أي حاجه من ساعة ما خلصنا الابتدائي ، كل واحد فينا راح في مدرسه شكل ومشوفناش بعض من ساعتها.

- تصدق والله العيال ديه وحشتني.

- وأنا والله حتى الواد خالد مشوفتوش من زمان ، آخر مره شوفته بالصدفه أيام ثانوي وبعد كدا خلاص ، متعرفيش حاجه عن أسماء؟

فردت "أروى":

- والله يابني ولا اعرف عنها حاجه ، بس سمعت إنها اتجوزت.

- اتجوزت؟ لتكون اتجوزت هي وإسماعيل وإنتي مخدتيش بالك.

- ممكن والله.

- يلا ربنا يسعدهم ، وبعدين إيه البتاع اللي إنتي حطاه قدام المكتب ده.

- ملكش فيه ده شغلي وأنا أدرى منك.

فضحكا سويًا وتركا حديثهما عن أصدقاء الطفولة ، وعادا مرة أخرى لحديثهما عن العمل وراجعا الترتيبات والبرنامج الخاص بالرحلة القادمة.

****

عاد "إسماعيل" إلى منزلهُ ليرتاح ، وتناول وجبة خفيفة مع والدته وكان الحاج "داوود" مازال خارج المنزل ، ثُم دخل إلى غرفته بعد أن أخذ حمامًا باردًا ليزيل عن نفسه آثار الشحم والتراب الناجم عن عمله ، ثم تذكر إنه نسىَ أن يُحادث "ميار" بعد أن عاد مساء اليوم بعد الامتحان ، فقد نسىَ أمر هاتفه تمامًا ، فضغط على زر الاتصال لينطلق رنين هاتف "ميار" في الجهة الأخرى ، فبادرته مازحة بطريقة لا تخلو من عتاب.

- "هههههههههه" ما بدري يااااسيدي ، المكنه اللي واخده عقلك.

- مكنه واخده عقلي؟ في إيه يابت إنتي متلمي نفسك.

- يا واد قصدي على المواتير والحاجات ديه مش قصدي حاجه تانيه والله.

- لا خفيفه ودمك خفيف ، نسيت والله يابنتي التليفون ده خالص ، مش عارف ليه مش مهتم بيه النهارده.

- ما الاهتمام مابيتطلبش.

- ليه معكيش رصيد؟ هاهاها !

"ميار" الأخت الوسطى لأخٍ كبير وأخت صغرى ، تعيش مع والديها في منزل في منطقة المنشية ، لها حياة عادية فهي تعمل كمعلمةٍ تحت التدريب في مدرسة خاصة بعد أن تخرجت من كلية التربية.

ردت "ميار" على إسماعيل قائلة:

- ماشي يا خواجه يا أبو دم شربات أنت ياعسل ، قولي بقى هتعمل إيه دلوقتي ، أو احكيلي عمومًا عملت إيه النهارده.

- يابنتي ما إنتي عارفه بعمل إيه كل يوم ؛ لما بطلع من الورشه بنام زي القتيل طبعًا، بس بكره هقوم متأخر بقى طالما مافيش مذاكره.

كان يتكلم بطريقته المعتاده العفوية التي تعشقها فكانت تنصت إليه انصاتًا كاملًا ، تريد أن تستمتع بكل شيءٍ في صوته ، فكانت تعشق صوته، أخبرته أكثر من مرة أنها تحب صوته، كما أخبرته في أول تعارف بينهما أن صوته جميل يلفت الانتباه ، فردت عليه ميار قائلة:

- ياسيدي براحه بس علينا، أنا بحب أعرف تفاصيلك والله مش اكتر، ولو ياسيدي الموضوع مضايقك قولي والله وهبطله.

كانت "ميار" تتمنى ألا يقول لها أن تتوقف عن ذلك الموضوع ، ولكنه لا يستطيع أولًا أنه يشعر بشعورٍ غريب داخله كلما أحس باهتمام "ميار" له ، يحب اهتمامها به وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يجرحها بكلامه.

- يابت لا والله بالعكس مش مضايق ، وحقك عليا لو فعلًا اتاخرت عليكي عشان أكلمك بس والله إنتى عارفه الشغل كان كتير أوي عليا النهارده.

فرحت "ميار" لكلام "إسماعيل" وبادرته في الكلام:

- ماشي ياسيدي وعلى العموم حصل خير، بس ياريت متقلقنيش عليك تاني بدل ما تخليني أجيلك زي المرة اللي فاتت واعمل حجة الكتب وأجيلك الورشه.

- لاااا أبوس إيدك ده الحاج صُبحي لو شافك تاني هيعملي الفرح ويوزع شربات المرادي.

فضحكت وضحك معها ثم انتهت مكالمتهما الطويلة ، وأغلق كل منهم الخط ليذهبا إلى النوم. نام "إسماعيل" على سريره وحدَّق بسقف غرفته يفكر في شيءٍ جديد يريد أن يفعله، يريد أن يبتعد عن روتين حياته لو لوقتٍ قصير، ليستطيع أن يكمل ما بدأه بذهنٍ صافٍ يريد أن يعيد الترتيب في ما قالته ميار له ، يريد أن يبتعد عن ذلك الحب الطفولي إنه لا يرى أي عيبٍ في"ميار" ولكن قلبه معلق بشخصٍ آخر، يريد أن يصفي ذهنه قليلًا في مكانٍ ما فتذكر إعلان شركة السياحة ، فذهب إلى حقيبته وأخذ الرقم المدون في دفتره واتصل بالرقم ، انتظر إسماعيل حتيأتى الرد من الجانب الآخر:

- مساء الخير يافندم "مروان" من مكتب "الأمل للسياحه" مع حضرتك.

- مساء النور، لو سمحت كنت شوفت إعلان عن رحله لدهب كمان أسبوع كنت عايز احجز معاكم.

- تحت أمر حضرتك تشرفنا طبعًا يافندم، حضرتك عايز تحجز لكام فرد؟

شرد "إسماعيل" قليلًا قبل أن يجيب ، سوف يذهب بمفرده ، ولم يأت بباله حتى أن يتكلم مع أي شخصٍ ليذهب معه ، ولكن ما من أصدقاء قريبين له ليعرض عليهم الموضوع حتى أنه فكر أن يخبر "ميار"، ولكنه يريد أن يبقى

وحيدًا حتى يستطيع أن يفكر فيها بالشكل المطلوب، ولن يخبرها على أي حال بموضوع الرحلة.

- ألو؟ حضرتك معايا يافندم؟

قطع الصوت شرود إسماعيل فرد إسماعيل عليه:

- آه أنا آسف، فرد واحد.

- حضرتك هتحجز لفرد واحد؟!

- آه يافندم باسم "إسماعيل داوود".

- تمام يافندم ، أنا كتبت اسم حضرتك في كشوفات الحجز، وياريت حضرتك تشرفنا عشان تسدد على الأقل نص مبلغ الرحله.

- تمام يا أستاذ مروان هكون عند حضراتكم بكره إن شاءالله.

- تشرفنا يافندم ، بس كنت عايز أسأل حضرتك الإعلان اللي حضرتك شوفته كان فين؟

- اشمعنى؟

- لا أبدًا يافندم حضرتك عارف إن مكتبنا لسه جديد ، وبنطور من إعلانتنا فكنت عايز أعرف من حضرتك شوفت الإعلان فين؟

- آه كان في يافطه كدا قدام المكتب بتاعكم ، بس محبتش أدخل كنت مستعجل بصراحه.

- تمام يا أستاذ إسماعيل وأنا آسف لحضرتك.

- لا أبدًا مافيش حاجه.

أغلق "إسماعيل" الخط وتنهد؛ فهو يريد فعلًا أن غير الروتين قليلًا فيما يفعله ، سيذهب غدًا لتسديد المبلغ وليتوكل على "الله" ، نام مرة أخرى على سريره سارحًا بأحلامه وخيالاته في أسماء كالعادة ، وقرر ألا يخبر أحدًا عن رحلته ؛ فهو يريد أن يبتعد عن كل شيءٍ ليصفي ذهنه ، فيأحذه النوم لينام استعدادًا ليومٍ جديد ، لا يعلم ما ينتظره فيه ولكن سيترك كل شيءٍ بيد القدر الذي يقوده.

في نفس الوقت كان "مروان" على الجانب الآخر يضحك على ما قاله "لأروى" في هذا المساء ، فكان أول من رفض وجود إعلان بهذا الشكل أمام المكتب ، ولكن اتضح أن "أروى" كانت على حق ؛ فهي أدرى بعملها منه والدليل أنها أتمت كل مهامها بأكمل وجهٍ حتى تم افتتاح المكتب.

لماذا نستعجل على الحكم في الأمور؟

هناك أيضًا أشخاص يفكرون مثلنا ، لهم أذهان مشبعة بالأفكار، ليس وحدنا فقط من يفكر بطريقة سليمة يجب علينا أن نجد مَن نثق فيه وفي قرارته حتى تسير الحياة بشكلٍ سليم، فلكلٍ منا مواقفه التي ساعدت على بناء تفكيره.

****

شردت "ميار" بتفكيرها في "إسماعيل" كالعادة بعد أن أنهت الاتصال معه ، فهي لا تستطيع أن تمحوه من عقلها ، لا تستطيع أن تضعهُ موضع الصديق ، لتكون ضحية الحب الذي يكون من طرفٍ واحد. كانت قلقة عليه طوال اليوم ، فقامت بالاتصال به أكثر من مرة ولكن ستقوم بألتماس العذر ولما تلتمس له؟! فليس مفروضًا عليه أن يتصل بها من الأساس فقد أنهى هذا الموضوع أكثر من مرة وبأكثر من طريقة. هل الحب هو مشكلتنا الوحيدة؟

ليست مشكلتنا الوحيدة ولكنه سبب أساسي في همومنا، فكل شخصٍ فينا يريد أن يحظى برفيق الدرب الأبدي ، الذي يكون شاهدًا على أحداث الحياة ومشاركة المشكلات الحياتية ليعبروها سويًا بنفسٍ إيجابية.

– مياااااار.. رناااا..

يأتي صوت الأخ الأكبر من خارج غرفة الأختين فيلبوا نداءه ، فردت "رنا" أولًا:

– إيييه يابني في إيه أنت كبير وعبيط؟

– تصدقي يابت إنتي خساره فيكي المفاجأه والله ما هقولك بقى حاجه ، وهقول لمياربس.

– قولها ياخويا ياما جاب الغراب لأُمه.

– تمااااام.

فألقى نظره على "ميار" وباشر بالكلام إليها قائلًا:

– ميار حضري نفسك كمان أسبوع هنطلع أنا وإنتي بس رحلة دهب ، شوفت إعلان على الفيس بوك وإعلان عجبني بصراحه ، شركه جديده لسه فاتحه ومخفضه الأسعار كدعايه ليها.

فردت "رنا" بسرعة من هوْل المفاجأة:

– أيوووووه بقى يا أحسن أخ في الدنيا عايزين نتشقلط.

– نتشقلط؟ وبعدين أنا بقول ميار.

– ياقلبي بقى عيب متزعلش مني ده أنت أخويا حبيبي.

– دلوقتي اخوكي حبيبك؟

فقالت "ميار" ضاحكة:

- هههههههه دهب إيه يابني ما أنت عارف شغلي ومش هعرف آخد أجازه.

فقالت "رنا":

- بطلي غلاسه بقى والله هيبقوا يومين حلوين وبعدين إحنا مخرجناش من زمان.

- خلاص بقى يامياعشان خاطرنا هُم تلت أيام وهنرجع تاني هنغير جو ياستي.

- خلاص هرُد عليكُم بكره.

فخرج "هيثم" خارج الغرفة ، وعادت كل من "رنا" و "ميار" ليخلدا إلى النوم مرة أخرى. ولكن "ميار" كانت مستيقظة فهي كانت تدبرلمفاجاة "لإسماعيل" بعد أسبوع ، نتيجة ستظهر وتريد أن تكون أول من يخبره ، ولكن لما لا؟ لتذهب لتصفي ذهنها لتعيد حساباتها وتفكر مرة أخرى في موضوعها مع "إسماعيل" وتتخذ القرار الحاسم في هذا الموضوع، وقررت ألا تخبر إسماعيل برحلتها ، لتترك الأمر إلى الغد فلا نعلم ماذا يخبئ لنا، وماذا يخبىء للجميع أيضًا.

****

يجلس "خالد" في إحدى الكافيهات المُطلة على الكورنيش السكندري ، ينفث دخان سيجارته بهدوءٍ وكعادته يشرب القهوة بدون سكر، النوع المفضل لديه من القهو ة، ليأتي رنين هاتفه ليزعجه لإخراجه من شروده القاتل:

- إيييه ياحج خالد فينك ، معايا حته أفغاني لسه جايه من أفغانيا طازه.

- أفغانيا مين يابني الله يخربيتك أنت اتسطلت والله.

كان يتكلم الطرف الآخر بطريقة الشخص تحت التاثير الكلي للمخدرات فتابع قائلًا:

- ياسطا أنا بكلمك من فوق السحاب ، شد وتعالي على الشاليه بتاع أبو البت مريم ، الشله كلها قاعده هنا ومستنظرينك.

- أنت اللغه عندك راحت ف داهيه ، وتقولي أفغاني دي شكلها إيراني وقلبت معاك بفارسي ولا إيه.

- ياعم انجز وبطل رغي تعالي مستنينك.

- خلاص جايلك في السكه أهو.

لا يريد الذهاب إلى تلك الجلسة ، يريد أن يبقى وحيدًا لبعض الوقت ، يحتاج أن يتكلم مع شخصٍ عاقل واعٍ للواقع ، لا إلى مجموعة من التافهين تحت تأثير المخدرات ، ولكن مع الأسف لا أصدقاء لديه فكل معارفه من أصحاب السوء الذين لا يخرجون خارج دائرة المخدرات ، اندمج مع تلك المجموعة منذ فترة كبيرة ، فكانت أول تجربة له في هذا الطريق كانت معهم. قرر عدم الذهاب وحمل هاتفه وفتح موقع ما على شبكة الإنترنت ، هذا الموقع يتيح لكل شخص أن يتحدث إلى أي شخصٍ في أي زمانٍ أو مكانٍ بدون معرفة تفاصيل أحد ، يكفي أن تضغط على زر الاتصال حتى تجد شخصًا مجهولًا يتحدث معك.

لماذا فعل ذلك؟!! لا يدري ، منذ وفاة والديه وأخيه الأصغر وبعد أن افترق عن حبيبته ، وهو يعيش حياة منعزلة ، يخرج فقط من بيته لتلبية رغباته ليس

أكثر، يعمل في شركة والده للإستيراد والتصدير التي صارت شركته هو بعد وفاة والده ، فقط يديرها عن بعد، يسأل مدراءه على أحوال العمل ، ويذهب إلى هناك كل أسبوعٍ مرتين أو ثلاث، أما باقي الأيام فهو لا يفعل شيئًا سوى السهرات أو الجلوس أمام حاسوبه في المنزل في ظلام منزله بعيدًا عن الجميع ، أو يذهب إلى أي كافيتريا مطلة على الكورنيش ؛ ليراقب حركات الناس المملة ويدرس تفاصيلهم ، يجلس عليها وحيدًا شاردًا في صخب الحياة المستفز الذي يحاول أن يبتعد عنه بكل الطرق مع احتفاظه بمراقبة الناس.

فتح خالد ذلك الموقع من باب التسلية ، فقد وجد شخصًا ما على موقع التواصل الفيس بوك ينشر إعلانًا عن هذا الموقع ، فاحتفظ به من باب الفضول ليس أكثر، ليتطلع عليه في وقتٍ لاحق ، ضغط على زر اتصال لتظهر نافذة جديدة ويظهر رقم مكون من خمسة أرقام كرقم تعريفي للشخص الآخر، وبدأ الطرف الآخر في الكلام أولًا:

- اسمك إيه؟

فرد خالد بتلقائية:

- مايهمش.

قالها وهو فعلًا لا يريد أن يتكلم في أي تفاصيل تخصه ، لا يريد حتى أن يقول اسمه ؛ فقد تعب من كونه خالد الفاشل كما يرى نفسه كل يوم ، ولتبدأ محادثة بين طرفين لا يعرف كل منهما شيئًا عن الطرف الآخر، فقط كل منهما من يجلس أمام حاسوبه أو هاتفه ، ويتحدث ولا يخاف من شيء فقط كلام مكبوت يقال بحرية.

- فعلًا مايهمش.

- منين؟

- مايهمش.

- فعلًا مايهمش، طيب أنا زهقان.

- وأنا كمان زهقانه ، إيه اللي دخلك على الموقع المستفز ده؟

- نفس السبب اللي دخلك عليه.

- أنت خاطب؟

- لا، متجوزعرفى.

-يبقى مش نفس السبب على فكره ، بلاش تجادل وخلاص.

- عندك حق، طيب عايزه إيه؟ أو إيه هدفك عمومًا.

بدأت شهوته في التحرك داخله ؛ فهو يعشق أذى الناس ، كل علاقة كان يقوم بها كان يتخيل حبيبته أمامه وكان ينتقم منها على شخصٍ آخر، ففكر أن تكون هذه المرة تلك المجهولة وليحاول ، فجاءت رسالة الشخص المجهول:

-عايزه أعمل حاجه جديده أقول كلام جديد ، أعمل حاجات معملتهاش قبل كده.

شعر "خالد" بالانتصار النصفي ، فوفرت عليه كلام كثير يود أن يقوله ، ولكن لا مانع فليتابع رادًا على رسالتها قائلًا:

- عايزه تعملي إيه؟

- عايزاك تأذيني.

بعد أن رأى تلك الرسالة طلب من النادل فنجانًا آخر من القهوة وأشعل سيجارة أخرى من التبغ ، ثم اعتدل في جلسته وشعر بشعور النشوة يزداد داخله ، فقد ابتعد عن تلك الأعمال منذ مدة وكان يكبح نفسه ألا يفعل ، ولكن تلك الفرصة يجب ألا تفوت فرد على تلك المجهولة قائلًا:

- نعم ياختي؟

- أيوه أنت مالك ، مش بتقولي عايزه إيه؟ عايزاك تأديني.

- إنتي مازوخيه يابت والكلام ده؟

- لا مش مازوخيه ياسيدي ، بس عايزه أجرب الإحساس ده ، إيه المشكله يعني؟!

- طيب على العموم أنا مش مصدق إنك بنت أصلً ا، وحاسس إنك واد متني كده وداخل يستظرف.

- طيب أثبتلك إزاي يعني؟ اتصل بيك مثلًا؟

- لا قديمه الحركه ديه.

- طيب عايز إيه؟

أحضر النادل فنجان القهوة "لخالد" ونفث دخان سيجارته ثم قال في رسالته التالية:

- اقلعي هدومك وهاتي أي تليفون عندك في البيت وصوري نفسك وإنتي ماسكه التليفون اللي بتكلميني منه والمحادثه ديه تكون واضحه.

- معنديش مشاكل ، بس الشات ده مفهوش خاصيه إننا ممكن نبعت صور لبعض ، أبعتهالك إزاي؟

- عامل حساب وهمي على الفيس بوك هبعتهولك تكلميني عليه.

تلك المجهولة لا تعلم أنه يملك كل الوسائل ؛ لكي يتيح لمن أمامه أن يدخل بكل الوسائل ويسهلها عليه بكل الطرق حتى يقع في مصيدته ؛ فهو خبير في تلك المواضيع.

- وأنا كمان برضه عامله حساب وهمي.

تبادل كل منهما الحسابات على التواصل الاجتماعي ، وبالفعل قام الشخص المجهول بإرسال الصورة كما طلب منها خالد ؛ عبارة عن جسمٍ عارٍ من الجزء الأعلى لا يظهر الوجه طبعًا ، والهاتف في منتصف هذا الجزء لتظهر المحادثة ظهورًا واضحًا في الصورة فجاءت رسالة منها.

- ها ياسيدي صدقت؟

استغرب من تلك الفتاة فكل شيء كانت هي من تطلبه هو لم يبذل أي مجهودٍ ، فرد عليها متعجباً:

- طب وإنتي بتعملي كدا ليه؟!!

- أنا حره وانت مالك؟ وبعدين هتفضل ترغي كتير كدا في كلام على الفاضي وتقعد تديني في مواعظ ، صدقني مش هخليك تعرف عني أي حاجه تاني ، ده لو تعرف عني حاجه أصلًا.

ضحك ضحكة خفيفة على كلامها ؛ لا يهمه إن كانت تلك آخر محادثة بينه وبينها.

- براحتك.

- براحتي؟

– أيوه براحتك ، ما تعملي اللي تعمليه ، أنا بسألك كفضول مني وغير كدا أنا بحب اللي قدامي يعترفلي بأسود جزء جواه ، على العموم إنتي اللي هتبقي خسرانه مش أنا.

– وهخسر إيه بقى؟

– هتخسري الفرصه الوحيده اللي جاتلك بالصدفه ، هتخسري الشخص الوحيد اللي إنتي كنتي عيزاه عشان يقدر يلبي طلبك اللي إنتي طلبتيه.

– وأنت ليه متاكد أوي كدا؟

– لأن الأذى اتخلق عشان أنا استخدمه.

****

أنهت "حنين" جولتها الأخيرة على مقاهي ومطاعم في بعض الأحياء في مدينة الإسكندرية ، بعد أن عرضت عليهم الإعلانات والعروض المقدمة من المكتب السياحي الجديد ؛ ليقدموها لزبائنهم كدعاية للشركة ، ذهبت إلى المكان التي تركت فيه سيارتها ، ثم دخلت لتريح قدميها من المشي المتواصل ، فلا تستطيع أن تفعل ذلك بسيارتها ، يمكن أن يفوتها الكثير من الأماكن في طريقها ، ففضلت ترك سيارتها وذهبت على قدميها. قامت بتشغيل مرطب الهواء الخاص بالسيارة والتقطت هاتفها لتتصل "بأروى" تبلغها بأن الأمور سارت على أكمل وجه ، فضغطت على زر الاتصال بالرقم الخاص ب "أروى" وأخذ مجرى الحديث في البدء من طرف "أروى":

– حنين ، كنت لسه هتصل بيكي قوليلي عملتي إيه؟

- تمام يا أروى والله كل حاجه مشيت بخير ومعظم المطاعم وافقت إنها مع كل زبون يدخل عندهم ياخد الإعلان بتاعنا وهو خارج.

- تمام الله ينور عليكي ، إحنا تاعبينك والله يابنتي كتر خيرك بجد.

- لا ياحبيبتي متقوليش كدا ، أُمال إنتي فين دلوقتي؟

- أنا خلصت كام حاجه في المكتب كدا وأهو وصلت البيت يادوب لسه راميه نفسي على السرير.

- محتاجه حاجه طيب أعملهالك؟

- لا لا متتعبيش نفسك وكمان يابنتي عشان تلحقي تروحي الوقت اتاخر.

- خلاص تمام ، أنا هرجع البيت دلوقتي.

- خلي بالك من نفسك طيب.

- حاضر ياجميل أشوفك بكره على خير.

- إن شاء الله مع السلامه.

انتهى هذا الحديث السريع وكانت "حنين" في ذلك الوقت في طريقها إلى المنزل ، تعيش حياة عادية جدًا ، تذهب إلى العمل في الصباح ولا تعود إلا فى نهاية اليوم إلى منزلها، تستخدم منزلها فقط من أجل النوم والطعام والاهتمام بمكتبتها الصغيرة ، اتخذت "حنين" غرفة صغيرة في منزلها لتصنع بداخلها مكتبة ؛ فهي تعشق القراءة ، تهتم كثيرًا بقراءة كتب التاريخ ، فهذا مجال عملها وغير ذلك فهي تحب هذا المجال .

عُرض عليها الزواج أكثر من مرة ولكنها كانت ترفض ، لا تعرف لماذا كانت ترفض ولكن من الواضح أنها تعودت على بقائها وحيدة ، كانت اجتماعية منعزلة بشكل كبير، لها الكثير من الأصدقاء ولكن تعشق وحدتها

وانطواءها الداخلي على نفسها ، لا أحد يعرف في ماذا تفكر وكان ذلك مصدر قوتها.

أصبحت انطوائية إلى حدٍ كبير، لا تناقش أحدًا في حياتها أبدًا ، ولا تسمح لأحدٍ بأن يقتحم خصوصيتها ، الجميع بالطبع لديه خصوصياته ، لكن حياتها بكل تفاصيلها تعتبر سرًا كبيرًا ممنوع المساس به ، تمتلك مهارة الاختلاء بالنفس والانفراد بالذات حتى تحولت تلك المهارة إلى طبيعة الحياة بداخلها ، تعشق الوحدة ، فلديها غرفة داخلها لا تفارقها أبدًا، وصلت حنين إلى المنزل وصعدت إلى شقتها. دخلت بسرعة لتهوي على الكُرسي القريب من الباب لترتاح قليلًا ، ثم قامت بعد ذلك بدخول غرفتها لتغيير ملابسها ،أحضرت ملابس المنزل واستعدت أن تخلع ثيابها لتبدلها ، قامت بتشغيل مروحة السقف ووقفت عارية ثم التقطت جزءًا من ثيابها المنزلية لترتديه.

نظرت بالصدفة إلى المرآة الموضوعة أمامها لتجد انعكاسًا لجسدها العاري أمامها ، تذكرت أول مرة فعلت ذلك متعمدة عندما كان عمرها ثمانية عشر عامًا ، ، دققت النظر وقتها في أجزاء جسدها ، كانت تفعل ذلك لأول مرة شعرت بلذة خاصة داخلها ؛ لذة الخطيئة الأولى التي تشعر بها كل فتاة كانت في سنها في ذلك الوقت.

فالخطيئه تعتبر لذة من لذات البشر، فطرة داخل كل إنسان يشعر بشعور مختلف عندما يقوم به ا، وكانت هذه أولى خطاياها ، تتأمل ثنايا جسدها، تتأمل نفسها ببرود ، لترتدي ملابسها بسرعة وتخرج خارج الغرفة بأنفاسٍ متلاحقة ومضطربة.

****

دخلت "أروى" إلى منزلها بعد تحيتها لأختها الكبرى وأمها ، فكان يومها شاقًا هي الأخرى فترتيبات أول عمل افتتاحي للمكتب يجب أن يتم على أكمل وجه. دخلت إلى غرفتها لتغير ملابسها ، وكانت الساعة حوالي الثامنة مساءً ، نسيت أمر "مروان" ونسيت أن تحادثه للاطمئنان عليه ، لقد ملت من هذا الروتين الذي تفعله هي و"مروان".

مكالمات هاتفية للإطمئنان على كل منهم الآخر، لماذا يفعلان ذلك؟ لماذا لا يتحدثان فقط عندما يريدان التحدث في أمرٍ مهم؟ ولكنها تحب مروان ، تحبه لكن بطريقتها هي.

اتصلت "بمروان" لتطمئن على عودته هو الآخر إلى المنزل ، فأمسكت هاتفها وهمت بالاتصال به ليأتي الرد سريعًا من "مروان":

- والله ياحبيبتي كنت لسه هكلمك أتطمن عليكي.

تنهدت بضيقٍ خفي لقد ملت فعلًا من تلك الكلمة فأجابته قائلة:

- لا ولا يهمك أنا لسه داخله أهو البيت ، يادوب غيرت وقولت أكلمك أشوفك وصلت فين.

- أنا ياستي لسه زي ما أنا في المكتب والله ماروحتش ، قدامي ساعه كدا.

- اتاخرت أوي ، طيب أجل اللي بتعمله لبكره عشان تريح شويه.

- لا ياحبيبتي بكره عايزينه لمرحله جديده إن شاءالله ، مش محتاج تأجيل شغل يعني.

- يا مروان قولتلك روح أنت تعبت ، بكره مش بعيد يعني.

قالتها بعصبية فهي تحب أن تقول الكلمة مرة واحدة ، ويجب أن تنفذ أيًا كان الثمن فرد "مروان" عليها قائلًا:

- طيب اهدي طيب بتزعقي ليه، خلاص ياستي هروح والله.

- ماشي، ابقى كلمني.

- حاضر، سلام.

أغلقت "أروى" الخط وذهبت تساعد والدتها في تحضير وجبة خفيفة لتتناولها بعد يومها الشاق .. انتهت من وجبتها وجلست مع أسرتها يتناقشون في أمورٍ عائلية حتى انتهى بهم الوقت سريعًا لتدق ساعة الحائط العاشرة مساءً ، فأستأذنت ودخلت غرفتها لترتاح قليلًا؛ غدًا يوم جديد في مرحلة جديدة من الترتيبات. فالتقطت هاتفها لتجد أن مروان قام بالاتصال بها أكثر من ٢٠ مرة ، فعاودت الاتصال به من جديد.

- إيه يامروان معلش والله مخدتش بالي من التليفون خالص ، كان في حاجه ولا إيه؟

- ولا يهمك، أنا على العموم روحت من ساعه كده.

- حمد الله على سلامتك أنا هنام شويه.

- طب متخليكي قاعده معايا شويه ، قرفان عايز أحكيلك على كام حاجه كده.

تنهدت مرة أخرى فهي لا تريد التحدث تريد أن تنام ، تريد أن تذهب إلى ما يشغل تفكيرها منذ مدة ، ولكنها في نفس الوقت تخاف أن تجرح مروان ، أكثر من شعور داخلها متضاربين ولا تعرف من فيهم الصائب ، فقررت أن تختلي بنفسها لتفكر قليلًا قائلة:

- خليها بكره يامروان لأني فعلًا والله تعبانه.

- خلاص لما أشوفك بكره إن شاء الله.

تركت هاتفها لتخلد إلى النوم لتهرب من التفكير، ولكن لا تستطيع ، فعاودت إمساك هاتفها وفتحت ذلك الموقع الغريب التي تتداول عليه كل يوم ، تدخل تكلم أشخاص مجهولين لا تعرف عنهم شيئًا ، فقط من أجل شيء لا تفهمه هي نفسها ، وبسرعة ضغطت على زر الاتصال لتدخل في محادثة جديدة مع مجهولٍ آخر.

****

كانت في أستوديو التصوير الخاص بها ، فهي تعشق التصوير، تجد متعة غير طبيعة عندما تقوم بهذا العمل ، من دقة عملها وسرعته أصبح لديها شهرة متوسطة بين بعض الشباب الذين يتوافدون عليها من أجل جلسات التصوير. كانت تجلس خلف مكتب محاط بزجاج عاكس أمامها حيث تستطيع أن ترى من بالخارج ومن دخل إلى الأستوديو، ولكن لا أحد يستطيع أن يراها.

كانت تجلس واضعة ساقًا فوق الأخرى تنفث دخان سيجارتها في الهواء وتدندن لحن أغنية بالعربية الفصحى ، نظرت من خلف الزجاج فرأت شابًا وفتاة يدخلان سوياً الأستوديو، فقامت سريعًا وعدلت من هيئتها ثم تركت سيجارتها وذهبت إليهما.

- مساء الخير أقدر أساعدكم فى حاجه؟

فرد عليها الشاب:

- آه كنت عايز أقابل صاحبة المكان من فضلك.

- تحت أمرك.

فقالت الفتاة:

- أهلًا وسهلًا بيكي إحنا سمعنا عنك كتير وعن شغلك.

- شكرًا ليكي ده من زوقك.

فقال لها الشاب:

- إحنا ياستي "عرسان" جُداد ، الفرح بتاعنا كان من تلت أيام ، لقينا مكتب سياحه بالصدفه وإحنا بنتمشى دلوقتي وعامل عروض كويسه ، فقولنا نستغل الفرصه ونطلع نقضي شهر العسل.

- ألف مبروك ليكم طبعًا وإن شاء الله تبقى رحله سعيده عليكم.

- ربنا يخليكي ، فطبعا إحنا سمعنا عنك كتير من ناس زمايلنا فكنا حابين نطلب من حضرتك طلب.

- وأنا تحت أمركم طبعًا.

- طبعًا زي ما قولتلك شهر عسل بقى ، وعايزين حد يكون موجود معانا عشان الصور اللي هتبقى للذكرى ، فإيه رأي حضرتك تطلعي معانا ، ومصاريف الرحلة كلها هنبقى إحنا متكفلين بيها ده غير حساب شغلك طبعًا.

فقالت العروس حديثة العهد:

- بالظبط كده ، بس أنا آسفه اسم حضرتك إيه؟ زمايلي قالولي على اسمك بس والله مش مجمعاه أنا آسفه.

- أنا أسماء.

- تمام يا أسماء إيه رأيك في الموضوع؟

-والله الموضوع شيق جدًا، بس امتي ميعاد رحلتكم ؟

- كمان أسبوع إن شاء الله.

- طيب هراجع جدول مواعيدي الأسبوع اللي جاي ، ولو مش هقدر اطلع معاكم ، هوصي زميله ليا هنا في الأستوديو يمكن أحسن مني كمان هي اللي تكون معاكم.

فرد الزوج على "أسماء":

- لا يا أسماء ياريت إنتي اللي تكوني معانا.

- فقالت أسماء خلاص والله هحاول سيبولي بس رقم تليفون وأنا هكلمكُم عليه بليل أبلغكُم.

فوافقوا جميعًا على هذا الاقتراح وذهب الزوجان خارج الأستوديو، ثم عادت أسماء مرة أخرى إلى مكتبها.

جلست على الكرسي مرة أخرى لماذا لا تذهب؟ فهي تذهب بطبيعة عملها إلى أماكن كثيرة ستبلغهم اليوم بموافقتها ، اعتدلت على كرسيها وأشعلت سيجارتها ثم قامت بسحب زجاجة من أحد أدراج مكتبها لتفرغ بعضًا من النبيذ الأحمر إلى كأسها ، ولتعود تدندن مرة أخرى ذلك اللحن الذي تردده منذ فترة.

****

يلاحظ "مروان" منذ فتر ةأن "أروى" تتعامل معه معاملة غريبة لا يدري سببها ، دائمًا يراها شاردة وهي معه، حتى مكالمته الأخيرة معها أثبتت له ذلك ، لقد تحجج بأنه يحتاجها في موضوعٍ هام حتى يتكلم معها ويعرف ما بها ، ويحكي لها عما يدور بداخله تجاهها في تلك المدة ، ولكنها كالعادة تحججت بالتعب وتحتاج أن تنام.

كان "مروان" جالسًا في غرفة مكتبه بالمنزل حتى دخل عليه أخوه الأكبر سنًا وطلب منه مشاركته في غرفة الطعام ليتناولوا وجبة العشاء مع والدهم ووالدتهم ، فوافق "مروان" ودخل إلى غرفة الطعام ووجد أسرته في انتظاره ليشرعوا في تناول وجبتهم ، فشرع الأب في الحديث عندما دخل "مروان" عليهم قائلًا:

- إيه يامروان جيت يابني ودخلت أوضة المكتب على طول حتى مغيرتش هدومك ولا حتى شوفناك لما رجعت.

فرد على والده متوترًا بعد أن اتخذ مجلسًا له على الطاولة بجوار والدته:

- أبدًا والله يا بابا تعب الشغل بس مش أكتر وكان يوم صعب النهارده ، حضرتك عارف الترتيبات بقى.

- عارف يابني وربنا يعينك ، بس برضه إنت لازم ترتاح مينفعش تتعب جسمك بالطريقه ديه.

فعقبت والدتهُ.

- أبوك عنده حق يامروان ، أنت بقالك يابني فتره كدا مش مظبوط ، وحساك متضايق ، قول يابني لو في حاجه.

- يا أُمي صدقيني لو في حاجه إنتي عارفه أنا مليش غيركم بتكلم معا ه، فصدقيني لو في حاجه هتكلم على طول هو زي ما قولت لبابا تعب وضغط شغل.

سكت الجميع ولكن الأب نظر إلى "وليد" ابنه الأكبر نظرة تحمل معاني الاستفهام ، ففهم "وليد" هذه النظرة وانتظر حتى ينتهوا من وجبتهم ويذهب إلى أخيه ليعرف ما يؤرقهُ.

****

كانت أنفاسها سريعة ، فمنذ انتهى حديثها مع هذا المجهول وهي تشعر بشعور جديد عليها، إنها أول مرة تفعل ما فعلت منذ قليل ، نعم ، تتحدث مع أشخاص كثيرين لا تعرف عنهم شيئًا ولكن لم يصل حديثهم إلى الدرجة التي وصلت هي مع ذلك الغريب التي لا تعرف حتى اسمه ، حاولت أن تعرف أي شيء عنهُ من خلال حسابه المزيف الذي كانت تراسله عليه فلم تصل إلى أي شيء ، حتى عنوان حسابه غير مذكور فيه اسمه. فقط أسماً مستعاراً.

فلماذا فعلت ذلك؟ تخون حبيبها وصديق عمرها التي باتت لا تعرف أي رجلٍ غيره بعد وفاة والدها ؟

ولكن هناك جزءًا داخلها استمتع بتلك المحادثة ، فإنها ولأول مرة يرى أحد جزء من جسمها ، ولكن هو لم ير جزءًا واحدً ا، لقد تعرت أمامه بكل شيء ، حتى أنها ملتزمة بحجابها ، لا أحد يرى شعرها حتى ، كشفت أجزاء كثيرة بداخلها إلى ذلك الشخص، أشياء لم يأت ببالها يومًا ما أن تقولها حتى لأقرب الناس إليها ، فتعود تسأل نفسها من جديد لماذا فعلت ذلك؟ هل كان له هذا التأثير القوي عليها؟

كان نظرها لا يتحرك ، كانت عيناها ثابتة على سقف غرفتها وكل هذه الأفكار تدور داخلها ، بدأ الاضطراب الداخلي يسيطر عليها سيطرة شبه كاملة ، تريد أن تعترف لمروان بكل شيء ، لكل غلطة فعلتها ، فكيف تصبح زوجته وهي خانته!!

نعم ، خانته ؛ فالخيانة ليست فقط بأن تكون في أحضان شخصٍ آخر غيره ، فالخيانة كانت بالنسبة إليها خيانة عقل ، خانت ثقته ، كسرت تلك القاعدة وبدأت تشعر بالندم.

ولكن لماذا تندم؟!! فهي كانت بحاجة لذلك أو كان هذا تفكيرها في ذلك الموضوع ، كانت بحاجة لتجرب شعور الخيانة ، نعم، للخيانة لذة خاصة أحتى وإن اعترفت بخطيئتها "لمروان" فهل سيغفر لها ذنبها؟

م فإن كان الفاعل هو "مروان" وصارحها فهي متيقنة يقيناً تامًا بأنها لن تسامحه مهما فعل من أجلها حتى لو كان آخر رجال الأرض ، بدأ اضطرابها يزيد ويسيطر عليها أكثر وأكثر، وبدأ يزيد اضطراب أنفاسها حتى كسر كل هذا رنين هاتفها بجوارها ، لتلقي نظرها عليه لتجد الاتصال من مروان.

****

بعد أن ارتدت"حنين" ملابسها المنزليه ، ذهبت إلى غرفة مكتبتها لكي تكمل قراءة الكتاب الذي بدأت فيه منذ أسبوع ، تريد أن تهرب من هذا الواقع ، فهي تشمئز من وجودها فيه ها قد باتت في الثلاثين من عمرها ولم تجد رفيق دربها. هزت رأسها بعنفٍ ، فلماذا تفكر في هذا؟ فهي امرأة عاملة قادرة على سد احتياجاتها بنفسها ، فلماذا تربط نفسها وتربط طموحها برجل؟ هل الرجل بالنسبة للمرأة هو آخر الطموحات والأحلام؟

تبًا لتفكير الفتيات عمومًا ، كل منهن يحلم بارتداء الفستان الأبيض ، لماذا هذا الفستان يعتبر أكبر لهفة وأكبر حُلم بالنسبة للفتاة؟ فهي ترى كل من يفكر في هذا الأمر بهذه الطريقة ، طفلًا صغيرًا يبكي إن لم يحصل على لعبته.

هل سيكون تفكير الفتيات مختلفًا إن كان هذا الفستان باللون الأخضر مثلًا؟ هل ستجدهم يصرخون ويتلهفون لارتداء هذا الفستان الأخضر؟ فكان أبيض منذ قليل؟ فلماذا تفكيرهم واحد في هذه النقطة.

نعم ، تولد الفتاة تحمل جينات الأمومة ، تحمل جينات الحب للحياة ، فالحياة خُلقت من داخلها ، ولكن لا معنى لكل ذلك إن كان همها الوحيد هو الإنجاب وأن تشعر بشعور الأمومة ، فهناك أيضًا ملايين المشاعر وملايين الملذات التي تستطيع أن تفعلها.

فهل حنين تفكر بتلك النظرية ؛ لأنها حتى الآن لم تجد شريك حياتها؟ هل تقول كل ذلك؛ لأنها باتت في سنٍ يراه المجتمع من حولها سن المرأة العانس؟ هل تقول ذلك لتعطي نفسها القوة لتتحمل كل هذا؟ لا تعرف، فهي تفكر فقط.

أغلقت حنين الكتاب المفتوح أمامها فهي لم تستطع أن تقرأ حرفًا فيه بسبب شرودها، وخرجت من الغرفة لتذهب إلى غرفة النوم لتنام بعد هذا اليوم الطويل ، وجدت نفسها تقف مرة أخريأمام المرآة ، وتنظر إلى ملامحها لتتساقط دموعها لتواسي وحدتها الأبديه التى فرضتها على نفسها.

****

دخل "وليد" غرفة "مروان" فرآه شاردًا يجلس أمام حاسوبه لا يفعل شيئًا سوى أن يعرض صورًا له مع "أروى". جميلة كل الجمال ، أحبها منذ أن كانت طفلة لا تعرف شيئًا في الدنيا غير أن تهتم بضفيرة شعرها..

قاطع "مروان" صوت "وليد":

– إيه يامروان بقالك كام يوم مش مروان اللي نعرفه.

فرد عليه "مروان" ردًا باردًا لا يحمل أي معنى.

- عادي ياوليد أنا كويس ، ماقلبتش "زومبي" قدامك مثلًا.

- لا يامروان انت مش كويس ، من امتي وانت بتخبي عليا حاجه..!

فتنهد "مروان" يريد أن يتكلم ، أن يشارك أحدًا هواجسه التي باتت تشتت ذهنه عن كل شيء.

- أروى ياوليد ، أروى بقالها فترة متغيرة معايا ، خايف تسيبني.

- ليه بتقول كده؟ ومالها أروى فيها إيه؟

- ملهاش ، متغيرة في كل حاجة بتعملها ، آه الشغل ماشي تمام والحمد لله المكتب مافيش فيه مشكلة ، بس هي متغيرة ، طريقتها معايا متغيرة ، وحاولت بكل الطرق إني أعرف السبب في تغيرها ده بس موصلتش لحاجه.

- يامروان أنت و أروى تعرفوا بعض من زمان ، فأكيد شوية مشاكل عندها وهتخلص.

- طيب ما كانت تحكيلي زي ما بتحكي ، من إمتى بتخبي عني حاجه؟

- ياسيدي مش لازم كل حاجه تعرفه ا، كل واحد عنده أسرار وحياه شخصيه من حقه ميقولش عنها حاجه لحد.

- خايف ياوليد.

- خايف من إيه بقى؟

- خايف لتكون بتفكر في حد غيري.

- إيه يابني الكلام اللي بتقوله ده ، مستحيل طبعًا ، وبعدين هتيجي تفكر في واحد غيرك وأنتو فرحكم كمان كام شهر؟

- صدقني مش عارف.

- سيبها بظروفها ومتشغلش بالك بس برضه خليك جمبها وتعالى على نفسك عشانها.

- ياوليد أنا مش باجي غير على نفسي عشانها.

- كلمها وخليك جمبها وصدقني هي أزمه وتعدي.

رضخ مروان إلى كلام أخيه وقرر أن يزيل كل ما يؤرقه تجاه هذا الموضوع ، استعاذ من الشيطان ثم قرر أن يتصل بها مرة أخرى.

****

جاء اتصال "مروان" لاتعرف إن كان هذا الوقت المناسب أم لا؟ فقررت أن تخفي مشاعرها الحقيقية وتحاول أن تجعله يشعر بأن لا شيء في تصرفاتها سوى التعب من العمل المتواصل ليس أكثر، وقررت ألا تخبره بشيء.

أجابت على الاتصال ليأتي صوت "مروان" ليحطم كل ما تبقى من صلابتها في كلمة واحدة قالها ، كلمة جعلتها تدخل في نوبة بكاء هيستيرية لا تعرف سببها سوى الشعور القوي بالذنب.

- بحبك.

قالها مروان ليحل الصمت الأجواء وتركها لبكائها دون أن يقول شيئًا حتى هدأت ، ثم أجابته:

- والله وأنا كمان بحبك.

لياتي صوت "مروان" المحبب إلى قلبها.

- عارف إنك بتحبيني، وعشان كدا مش عايز اشوفك غير كويسه، مش هحاول أضغط عليكي عشان تحكيلي اللي مضايقك ، هسيبك لحد ما تاخدي وقتك وتيجي إنتي تحكيلي بنفسك لما تبقي قادره تعملي كده ، ومش عايزك تقولي أي حاجه ، عايز أقولك معرفتش أنام غير لما أسمع صوتك.

فابتسمت "أروى" من خلف دموعها وردت عليه قائلة:

- ربنا يخليك ليا يا بابا، تصبح على خير ياحياة قلبي.

- وإنتي من أهله ياحبيبتي.

لتنتهي المكالمة ويذهب كل منهما مرةأخرى إلى شروده وأفكاره لينتهي يومهما كالعادة بالنوم لصباح يومٍ جديد.

****

بدأ المكان الذي يجلس فيه "خالد" يمتلئ بالناس من حوله ، فكان ينظر بجواره إلى النافذة ولا يصدق ما حدث منذ قليل مع تلك المجهولة التي لا يعرف عنها شيئًا سوى أنه أخرج كل طغيانه عليها ، فجعلها تطيع أوامره كأنه هو المتحكم الذي يفرض سلطته الكاملة عليها، ولم يتلقى سوي الأستجابه السريعه لطلباته.. لا يعرف لماذا يفعل ذلك؟! يملك علاقاتٍ نسائية كثيرة ، ولكن تلك العلاقات كان يعتبرها خروجًا لكبته فقط لا غير، حينما أراد أن يدخل على هذا الموقع الإلكتروني كان هدفه أن يتكلم فقط ، ولكن بدون شعورٍ منه وجد نفسه يعود لأساليبه الحقيرة ، يُعاقب كل أنثى تقع أمامه لينتقم من أنثى واحدة استطاعت ان تجرح الجزء القديس بداخله ، فتحول ذلك القديس إلى"شيطانًا رجيمًا" لا يرحم أحدًا ، يشعر

بمتعة كبيرة عندما يجد ان ضحيته تتعذب بسببه ولا يعرف سبب لتلك المتعة ، ولكنه متعته تزداد ككل شيءٍ يسير عكس التيار الصحيح.

نعم ، كلما إندمجنا في شهواتنا يزداد تعلقنا بها أكثر وأكثر حتى تصبح عادة لا نستطيع الاستغناء عنها ، فتصبح كالهواء الذي لا بد من استنشاقه ، ولكن هناك جزءً بداخله يرفض ما يفعله ، ولكن لقد نسى ذلك الجزء نسيانًا تامًا وألقى به في أرشيف الذاكرة المنسية.

كانت حبيبته القديمة هي كل ما بقى له من بعد وفاة والداه وأخيه الوحيد في حادثٍ قديم ، كان في ذلك الوقت في عمر السادسة عشر من عمره ، عندما عاد إلى منزله ليجد أقاربه في المنزل في انتظار عودته ، فسألهم على سبب تجمعهم ليخبروه بما حدث مع والداه وأخيه "ياسين"، كان "ياسين" في تمام عقده الأول أصبح وحيدًا طوال حياته ، وحيدًا بعد رحيل حبيبته ؛ فقد خانته وألقت ببذرة قلبه النقي في قاع جهنم ، لتطرح ثمرة "إبليس" بداخله ليصبح شيطانًا آخر، لكنه شيطان لديه ضمير قوي يريد أن يعود إلى فطرته السوية التي خلقه الله عليها فطرة الإنسان السليمة ، ولكن ها هو يجلس وحيدًا شاردًا يشعر بشعور الفشل ، بدأ يشعر بالملل مما يفعله ولكنه مستمر وسيستمر إلى أن يجد ما ينقذه من هذا الجحيم.

ينتهي الأمر بخالد يوميًا بأن يندمج مع أصدقاء لا يعرفون سوى نواع المخدرات ، وهؤلاء الأصدقاء زرعوا داخله شعورين مختلفين كل الاختلاف ؛ شعور بالحقارة فيما يفعلوه وفيما يفعله معهم ، وشعور آخر باللذة فيما يفعله هؤلاء الناس من حقارة ودناءة فهو يحب ان يرى أقبح مافي الإنسان أمامه حتى لا يشعر بالذنب ، حتى وإن وجد شخصًا صالحًا ، لا يتركه إلا وأن يخرج أسوأ ما بداخله أصبح شيطاناَ في العقد الثالث.

انتبه إلى رنين الهاتف فكان المتصل صديقه الذي حادثه منذ قليل ، لم يستجيب إلى أتصاله وقرر أن يذهب إلى منزله ، قام باستدعاء النادل مرة أخرى ليدفع فاتورته ، فجاء الأخير ملبيًا الطلب ، عرض النادل على"خالد" بطاقة إعلانية "لمكتب سياحي" يقوم بعرض رحلة إلى جنوب سيناء تحديدًا مدينة "دهب" فأخذ "خالد" البطاقة وبدون تفكير اتصل بالرقم الموجود على الإعلان.

****

كانت "حنين" تحاول النوم حتى جاء رنين هاتفها ليقطع الصمت التام في منزلها ، فاستغربت من هذا الاتصال في وقتٍ كهذ ا، وجدت رقمًا غير مسجل ، فتأففت وتركت الهاتف مرةأخرى ، فلا تريد التحدث إلى جاء رنين الهاتف مرة أخرى فقررت الرد حتى تنهي ذلك الأمر السخيف فقالت بانزعاجٍ:

- ألو؟

فجاء الرد من الجهة الأخرى:

- ألو، أنا آسف جدًا إني بتصل في وقت زي ده.

- لا ولا يهمك مين حضرتك؟

- أنا خالد ، كنت في كافيه والويتر عرض عليا بطاقه فيها إعلان عن رحله فقررت اتصل ، عارف إن الوقت متأخر انا نفسي مش عارف أنا اتصلت ليه .

شعرت بالفرحة بأن عملها اليوم جاء بثماره حتى لو بجزءٍ بسيط ، فهي وضعت رقمها على الإعلان لتتابع مجريات الأحداث وإلى أين وصل مجهودها ، فقالت بتغييرٍ كلي في نبرة صوتها وبنبرة سعيدة قالت:

– تحت أمرك يافندم، أنا حنين مشرفة الدعايا في المكتب.

– أهلًا يا أستاذه حنين ، لو سمحتي كنت عايز احجز لفرد واحد في الرحله مع حضرتك.

– أكيد يافندم ، طبعًا تنورنا ، إن شاءالله رحلتنا كمان أسبوع زي ما مكتوب مع حضرتك في البطاقه ، ياريت حضرتك تبعتلي البيانات في رساله على الرقم اللي بتكلمني عليه وفي انتظار حضرتك في أي وقت عشان تسديد المبلغ.

– تمام يا أستاذه حنين ، اتشرفت بحضرتك.

– انا أكتر يافندم مع السلامه.

إستسلمت أخيرًا إلى النوم وعلى شفتيها ابتسامة النصر، ها قد انتصرت حتى لو بجزء صغير جدًا في حياتها العملية فلماذا إذًا تحتاج لشخصٍ ما بجانبها؟

****

نهض "خالد" من مكانه بعد أن أنهى تلك المكالمة مع مندوبة مكتب السياحة ولا يعلم لماذا قام بذلك العمل من الأساس؟! فهو لم يفكر حتى في تفاصيل تلك الرحلة ، ولكن ما من شيء يفعله ليذهب ليقتل بعض الوقت ليصفي ذهنه بعيدًا عن الأشخاص الروتينين الذين يراهم يوميًا أو يتعامل معهم.. خرج من المكان استقل سيارة أجرة حتى توصله إلى منزله ؛

فقد ترك سيارته أمام المنزل حتى يكون حرًا في أي مكانٍ يذهب إليه ، بعد أن وصل "خالد" إلى المنزل ذهب بدون تفكير إلى الصورة القديمة المعلقة على حائط صالة الاستقبال التي تجمعه هو وأخوه "ياسين" و"والداه"، وكان بجوار تلك الصورة صورة أخرى تجمع "ياسين" وأصدقاء طفولته ، كان يتذكر أسماءهم جميعًا ، فكان يعتبر بمثابة الأخ الأكبر لهم فكان يشاركهم كل شيء يفعلوه حتى أنه تذكر يومًا من الأيام عندما خرجوا من المدرسة ووجدوا العم "داوود" يقف بجوار سيارته الأجرة الصغيرة التي تأخذهم يوميًا من وإلى المدرسة وكان صديقهم "إسماعيل" منكبًا تحت السيارة ولا يعرفون ماذا يفعل بالظبط.

– يابني بتعمل إيه يابني ، يابني المشكله مش زي ما أنت فاهم يعني هي بس محتاجه زقه وهتمشي تاني.

فكان رد "إسماعيل" على والده:

– يابابا سيبني ، سيبني بقى في حالي وهات "المفك" اللي موجود على الكرسى قدام.

– طيب قوم يافالح صحابك هناك هم وجايين علينا ، تعالى نجرب نزقها.

فجاء الأصدقاء مجتمعين حول إسماعيل والعم داوود ليشاهدوا هذا الحدث فجاء رد صديقتهم "أسماء":

– يا إسماعيل قولتلك كتير بلاش تعمل اللي بتعمله ده ، ينفع كده بهدلت هدومك.

وذهبت "أسماء" كي تنفض الغبار عن ملابس "إسماعيل" بيدها الصغيرة .

تذكر "خالد" وهو ينظر إلى الصورة ملامح تلك البريئة "أسماء"؛ فكانت من أجمل الفتيات في المدرسة وكانت لا تفارق "إسماعيل" أبدًا.

فقال "مروان" للعم "داوود":

- شوفت ياعمو داوود؟ أديك كل شويه بتخلينا نزوقهالك ، ما تقول يا إسماعيل لعمو يغير العربيه ديه بقى إحنا زهقنا.

فضحك العم "داوود" على كلام "مروان" الصغير:

- يابني العربيه ديه أنا من غيرها ما اقدرش أعيش.. ديه زى خالتك أم إسماعيل بالنسبالى.

فأستعد الأطفال جميعًا للقيام بالواجب المعتاد من أجل أن تتحرك السيارة ، وفي صوتٍ واحد كالعادة قالوا جميعًا:

- "إاادي زووووبه زقه"

ابتسم خالد لتلك الذكريات الطفولية الجميلة ، ودقق في ملامح الأطفال الصغار؛ أخوه المحبب إلى قلبه الذي فارقه ، وخالد يقف بجانبه إسماعيل. أسماء بضحكته االطفولية البريئة ، مروان يقف بجانب أروى.. دقق خالد في ملامحهُ الصغيرة التي نسى شكلها ، ثم جلس على الأريكة القريبة من الحائط وقرر أن ينام عليها.

****

انتهت "أسماء" من آخر جلسات التصوير في الأستوديو، وقررت أن تتصل بالرقم الذي يخص العروسين وتخبرهما بموافقتها على العرض المقدم منهم ، أغلقت جهاز الكمبيوتر الخاص بها لتعديل الصور ثم قررت الذهاب إلى

المنزل ؛ فالساعة الآن تخطت الثانية عشرة ، فماذا يقول جيرانها عندما يلمحونها عائدةً إلى منزلها في هذا الوقت؟!

الجيران ؟ ماذا تفعل للجيران؟ هل يجب عليها أن تكتب جدول أعمالها وتعلقها على منشور في مدخل المنزل حتى يعرف الجيران أين هي الآن حتى لا يأخذوا عنها فكرة خاطئة ؟

معروف أنها تعيش بمفردها، ومعروف عنها أيضًا أنها تعمل بمجال التصوير، إذًا فلماذا يتكلمون عندما تعود متاخرة؟ هل بسبب إنفصالها عن زوجها؟ ..الأخطاء تعتبر أخطاء في أي وقتٍ من اليوم ؛ هل إذا عاد الشخص مبكرًا إلى بيته فهذا يدل على حسن سيره وسلوكه؟

تعرف أسماء ماذا تفعل لا يهمها كلام الناس ؛ فهي واثقة من نفسها حتى إذا أرادت أن تقوم بشرب الخمر فتقوم بذلك في منزلها فقط أو قليلًا في الأستديو؛ لأنها تعرف تأثير الخمر عليها وعلى أفعالها الجنونية فهي مجنونة بطبعها ، ولكن هي أيضًا تعلم في أي مجتمعٍ تعيش بالرغم من أن احتساء الخمر هو أمر مرفوض ولكن لا يهم ؛ فهي حياتها وهي من ستحاسب أمام الله ، وليترك الجميع أفعالها وليركزوا على أفعالهم ، سيعاقب الله كل شخص وحيدًا على أفعاله وليس على أفعال الآخرين.

****

استيقظ "إسماعيل" من نومه ، جلس على سريره ليبتسم ، فكان سر تلك البسمة بسبب ما رآه في حلمه "أسماء" مرة أخرى.

الأحلام هي مجرد بوابة نعبر بها من خلال عقولنا لنذهب إلى ما نريد أن نراه واقعيًا، فنمضي وقتًا قصيرًا في تلك الدائرة نستمتع بكل شيء نريد فعله ، ولكن يصدمنا الواقع بطرقه الغريبة.

فأخذ يراجع مرة أخرى ما حلم به وحاول أن يجمع كل ما يتذكره حتى يدمجه مع ما يتخيله ؛ ليكون فكرة جديدة حول حبيبته المفقودة منذ زمنٍ.

فلماذا يبحث عنها دائمًا وهو متيقن أنه لن يجدها مرةأخرى؟ لماذا لا يأخذ خطوة جديدة في حياته ويفيق من غيبوبته الداخليه حتى يواكب الحياة ومستقبله القادم؟

تتجدد ملامح أسماء داخل عقله مع مرور الوقت لتواكب عمره الحالي ، ولكن ماهي ملامح أسماء الحقيقية؟ فحتى إن وجدها لن يتعرف عليها.

كانت تحتل جميع تفاصيل ذلك الحُلم ، نعم ، يتذكر وجهها جيدً ا، يتذكر ملامحها الطفولية حتى كبرت معه تلك الملامح وبات يتخيلها شابة تمتلك نفس المواصفات القديمة لها. التقط هاتفه ليتطلع على الوقت ليجد الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا..

نهض من مكانه ثم ذهب إلى الصورة القديمة التي تجمعه مع أسماء ومع باقي أصدقاء الطفولة، لقد بات الحنين إلى تلك الأيام قويًا ، وغير ذلك فهو يتمنى أن يجد أسماء مرة أخرى.

كم منا يملك أشخاصًا سجلوا لحظاتٍ لا تُمحى من العقول حتى باتت أوهامًا نراها حية أمامنا ، ولكنها في الأخير لا تصلح أن تكون غير ذكريات.

خرج من غرفته ليجد والدته تشاهد التلفاز فألقى عليها تحية الصباح:

- صباح الخير يا حاجه.

- صباح الخير يا إسماعيل.

فواصل "إسماعيل" كلامه:

- إيه ياست الكل ينفع تسيبيني لحد دلوقتي نايم؟

- يابني أصحيك ليه ، قولت أسيبك تنام شويه ، كدا كدا أنت أجازه ومافيش وراك حاجه، ادخل أنت اغسل وشك وأنا هحضرلك الفطار.

رضخ إسماعيل لكلام والدته ، واليوم هو سعيد بطريقة لا يتخيلها ، أو يحدث له ذلك عادة عندما يشاهد نفس الحُلم. فحقيقةً يتمني أن يراها فى الواقع حتي لو هلوسه.

****

خرجت "حنين" من منزلها لتركب سيارتها وتذهب إلى العمل ، تريد أن تنسى ما حدث معها في الليلة الماضية ، تعرف بأن الله هو منقذها الوحيد من كل حيرتها ، وهو منقذها الوحيد الذي تعتمد عليه اعتمادًا كليًا ليسر لها حياتها.

تواظب على صلاتها ولا يستطيع أي رجلٍ حتى أن يقترب منها لقوة شخصيتها ولصلابتها، فقد حاول الكثيرون والكثيرون ولكنهم فشلوا ، حاول البعض التقرب منها وجدوا فيها المرأة الوحيدة التي تحتاج إلى عطفٍ وإلى أحدٍ تستند عليه ، ولكنهم فشلوا أيضًا في ذلك الاتجاه ،"حنين" لا تقول أي شيءٍ يدور داخلها إلى أحدٍ ، ومن المستحيل بالنسبة إليها أن تطلب العون من أحدٍ.

كانت تشعر بعدم ارتياح أثناء قيادتها ، تشعر بوجود خللٍ في السيارة لا تعرف سببه ، حتى جاءها اتصال من صديقتها "نهى" فأمسكت هاتفها وقامت بالرد عليها معقبة:

- نَّهى إزيك وحشاني والله.

فجاء رد صديقتها من الجهة الأخرى:

- وإنتي والله ياحنين عامله إيه.

- أنا تمام الحمد لله ، إنتي إيه أخبارك.

- أنا كويسه الحمد لله ، إيه فينك.

- أنا ياستي في العربيه أهو ورايحه المكتب.

- أيوه يااااستي مبرووك الشغل الجديد ، آسفه والله معرفتش آجيلك أباركلك ، العيال واخدين دماغي مني حقك عليا.

- لا ياحبيبتي ولا يهمك أنا مقدره ظروفك.

- مالك ياحنين حساكي متلغبطه كده.

- أبدًا والله يابنتي العربيه مش عارفه فيها إيه مش مريحاني ، هوديها لأي حد كده في سكتي يشوفلي مالها.

- يابنتي هو إنتي كل شويه في نفس الموضوع ده.

- مش عارفه والله في إيه.

- طب بقولك، في واحد جوزي بيودي العربيه عنده ، بيقول عليه شاطر ومش من النوع اللي بيسيب حاجه تفلت من إيده عشان ترجعيله تاني.

- طيب يابنتي قوليلي مكانه فين بالظبط.

– هو في سيدي بشر، استني كدا خليكي معايا أسألك هو فين بالظبط هناك.

فانتظرت حنين حتي عادت صديقتها مرةأخرى.

– معلش ياحنين اتاخرت.

– ولا يهمك.

فوصفت نُهى عنوان "الميكانيكي" لحنين ثم أنهيا كلامهما على وعدٍ باللقاء القريب ، وعود باللقاء بين الأصدقاء يعرف الطرفان منهما أنها وعود لن تتنفذ ، كل منهما يحمل همومه ومشاغله التي تجعله لا يفي بوعده ،. أصبحنا لا نهوى شيئًا في الحياة سوى أن نكون وحيدين فقط ، حتى لو كان هناك كثيرون حولنا ، فإننا لا نرى سوى عزلتنا التي فرضناها على أنفسنا.

****

تقف "ميار" أمام شرفة غرفتها ، تشرب المشروب الصباحي الخاص بها ، وتستمع إلى بعض الأغاني ، هي عادتها كل صباحٍ عندما تستيقظ ، تجد متعة غير عادية في القيام بهذا الروتين وكأنها خُلقت لتفعل ذلك فقط ، دورها في الحياة يتمحور حول فنجان قهوتها الصباحي ، شاردة كالعادة في "إسماعيل"، ماذا تفعل؟ نعم ، ستوافق على الذهاب في تلك الرحلة ، تريد حقًا ان تجد حلًا أخيرًا في هذا الموضوع.

لماذا لا تستطيع أن تخرج بخيالها بعيدًا عن ذلك الموضوع؟ يجب عليها أن تفهم أن الحب ليس هو الشيء الوحيد الذي يجب أن تفكر فيه ، ليس فقط "إسماعيل" هو من يستطيع أن يخرجها من كبتها وأن ترى الحياة من خلاله.

جاء صوت أختها الصغرى لتناولها الهاتف الخاص بها ، فكان اتصالًا من "إسماعيل"، انفرجت أساريرها وشعور بالفرحة تسرب في جسدها من

ذلك الاتصال ، ولكنها تذكرت حيرتها ؛ لماذا تتعلق بهذا الألم ؟ لماذا تحبه ؟ لماذا تبقى بجانبه في أوقات احتياجه لها وهي تعلم أنه يرفض أن تكون معها باقي العمر؟ هل هي محطه بالنسبة له حتى يجد من يبحث عنها ؟

ولكنه لن يجدها ، ولكنه في نفس الوقت متعلق بوهمه كأنه جزء من جسده إذا تم بتره فسيعيش أبتراً طوال حياته.

لتعيش ميار منذ أن رأت إسماعيل في لعنة الحيره

****

تناول "إسماعيل" وجبة فطوره بحضور والدته ، ثم نهض وهو يشعر بالحاجة أن يسرد تفاصيل حُلمه على أي أحدٍ ، يريد أن يشارك أحدًا فرحته تلك ، ولكن لمن يجب أن يحكي؟ هل يتصل "بميار"؟ ولكن لماذا "ميار"؟! فموضوع كهذا يمكن أن يجرح مشاعرها. ولكن لماذا هي من أتت في المقدمة؟! ولكن لماذا يجرحها؟ وهو أخبرها أكثر من مرة أنه من المستحيل أن يفكر فيها بطريقة أخرى غير الصداقة ، وهي وافقت على قراره، إذًا هما أصدقاء فليتصل بها.

همَ بالاتصال "بميار"، ووجد الفرحة في صوتها حتى تبدل كل ذلك مع تفاصيل المكالمة ، ثم أنهيا اتصالهما ، بعد أن وجد أن ما حكاه هو السبب في التغيير المفاجيء "لميار". نعم، يعلم السبب ولا يدرك لماذا فعل هذا ، وقرر أن يخرج إلى الشارع ، فهو بحاجة إلى تغيير الأجواء المحيطه ، فقرر أن يذهب ليدفع مصاريف رحلته في مكتب السياحة ولتكون رحلته المنقذ الوحيد بعيدًا عن الجميع ، فقرر أن يذهب إلى الحاج "صُبحي" ليستاذنه في أن يقوم بفتح ورشة العمل اليوم برغم الإجازة الأسبوعيه ، يريد أن يذهب

بتفكيره بعيدًا عن كل هذا ويصب تركيزه على العمل ليرتاح دماغه قليلًا من تلك الأفكار.

****

كان كل من "مروان" و "أروى" متواجدين باكرًا في مكتبهما الجديد يراجعان الأحوال ويرتبان لأعمالهما اليومية.

فكانت "أروى" شاردةً كعادتها..لماذا هذاء البكاء المفاجئ من طرف "أروى" ؟ يتمنى لو يعرف فقط ما يؤرقها حتى يلبي طلبها لمساعدتها كالعادة.

تعتبر بالنسبة "لمروان" إبنته الصغيرة قبل أن تكون حبيبته ، يحاول بكل جهده ، يحاول أن يكون بجانبها بقدر المستطاع.

فتكلم مخاطبًا حبيبته ليقطع الصمت بينهما:

– أروى إنتي كويسه؟ لو مش قادره تكملي شغل النهارده ممكن تروحي وأنا هكمل بدالك.

قالت "أروى" بطريقة غير مبالية بكلام "مروان" بسبب شرودها الطاغي عليها:

– لا يامروان صدقني مافيش حاجه هو بس عايزه أغير جو مش أكتر.

كانت تتمنى اتركني مع هاتفي وحيدة وسأكون بخير، ولكن جزءًا منها كان في صراعٍ مع نصفها الآخر؛ فهي تريد أن تخرج من تلك الدوامة ولكن لماذا لا تخبره بالحقيقة؟!!

تخاف أن يتركها ، تخاف من أن تجرح شعوره ، ولكن هل كتمانها لهذا السر سيسعده؟

لاحظ "مروان" اضطرابها في الكلام..

- الرحله قربت يا أروى ، وصدقيني هتبقى فرصه لينا إننا نغير جو سوا.

- إن شاء الله يا مروان متشغلش بالك بيا ، هبقى كويسه صدقني.

أصبحت أسيره لشهوة الخضوع بداخلها..

في تلك اللحظة كانت "حنين" وصلت إلى مقر العمل أيضًا ، فدخلت على "أروى" و"مروان" لإلقاء التحية فوجدتهما واجمِيْن ، فأستغربت وقررت أن تسألهم:

- إيه ياشباب مالكم في إيه؟

فرد "مروان" أولًا محاولًا تغيير ملامحه وطريقته في الكلام ؛ فهو يكره أن يعرف أي شخصٍ أسراره مع أروى أو حتى أن يلمح لأي أحدٍ بوجود خللٍ في علاقتهما.

- مافيش ياستي ، الست أروى شغلاني بالرحله بتاعت الأسبوع الجاي ، قوليلي والنبي إذا كان هي من أول رحله وشغلانا كده.

ضحكت "حنين" ضحكة خفيفة معقبة على كلام "مروان":

- لا متقولش كده ، هي بس عشان عندها ضمير شويه. وبعدين أنتوا بقالكم قد إيه مأخدتوش اجازه؟ متخرجوا شويه وتاخدوا النهارده اجازه ، ومتخافش ياسيدي هوافقلك عليها بما إني أنا اللي شغاله عندك.

ابتسم "مروان" قائلًا لحنين:

- لا يابنتي متقوليش كده ، ده مجهودك اللي بتعمليه فعلًا يقول إن إنتي اللي صاحبة المكتب.

– طيب يلا بقى روح أنت وأروى شوفوا هتعملوا إيه كده ، اتمشوا شويه ولا اعملوا أي حاجه ، وأنا هنا مكانكم يا سيدي.

وافق "مروان" على كلام "حنين"، فإنه يحتاج أن يتكلم مع "أروى" خارج نطاق العمل ، اما هي فتتمنى ان ينتهي هذا اليوم وبسرعة حتى تتحدث مع هذا المجهول مرة أخرى ، فهما على وعدٍ بالحديث مرةأخرى ، انتبهت من شرودها على كلام "مروان" إليها:

– ها يا أروى إيه رأيك ؟

بطريقة آلية قالت "أروى":

– آه تمام أنا معاكم.

– معانا فين يابنتي ، إنتى هتروحي مع مروان لوحدكم وأنا هنا هستناكم.

– آه يلا بينا.

كان "مروان" يشعر بوجود كارثة قادمةإليه من تجاه "أروى" ؛ فهو ولأول مرة يراها هكذا إذًا هناك شيء يجب أن يعرفه ، ولكن سيعرفه بطريقته أو سيترك الأمر للوقت ، الوقت فقط .

****

يقود "خالد" سيارتهُ متجهاً إلى العنوان المدون على البطاقة التي حصل عليها في يومهِ السابق حتى يسدد تكاليف تلك الرحلة ، كانت آثار التعب ظاهرة عليه وكان متعبًا بطريقة كبيرة لا يعرف سببها بالرغم من نومه لمدة طويلة ، ولكن عقله كان في مكانٍ آخر، كسر حاجز الصمت بينه وبين صوت محرك السيارة صوت رنين الهاتف ، فكانت المتصله زوجته "مريم" .فألقى بالهاتف جانبًا وقررعدم الرد.

وصل إلى العنوان المدون لديه ، لتظهر أمامه لوحة كبيرة مكتوبًا عليها "مكتب الأمل للسياحة" ، ترك سيارته في المكان المخصص للسيارات ثم دخل المكتب السياحي ، قابل موظفة الاستقبال وأبلغها بطلبه لتحوله إلى الشخص المختص للحجز، انتظرقليلًا حتى أتت موظفة الحجز، فأخبرها أنه اتصل بالأستاذة "حنين" وكان على موعد معها لتسديد الرسوم.

- أهلًا يا أستاذ خالد ، أنا حنين اللي رديت على حضرتك إمبارح.

كان "خالد" شاردًا لا يفكر في شيء ، فقط يريد أن يسدد مصاريف رحلته ويرحل من هذا المكان بسرعة ، فقال:

- أهلًا وسهلًا بيكي ، كنت بس جي أعرف التفاصيل واحجز معاكم.

- تمام يا أستاذ خالد ، ياريت حضرتك تيجي معايا في مكتبي عشان نسجل البيانات.

وافق "خالد" وتبعها إلى مكتبها حتى جلس كل واحدٍ منهما في مكانه ، تشاورا في التفاصيل الخاصة ، ودفع المستحقات وتسلم تذكرته التي سترافقه الأسبوع القادم ، ثم عاد مرة أخرى إلى سيارته ليجد أن رنين الهاتف مازال مستمرًا وقرر الرد هذه المرة:

- إيه يامريم في إيه ؟

فجاء صوت مريم من الجهة الأخرى.

- إيه ياسيدي فينك من إمبارح مِتش ليه ؟

- أبدًا كنت مشغول شويه ومكنتش عايز أقعد مع حد.

- طيب يا سيدي تعالى نقعد مع بعض شويه عايزه أعرف مالك.

فقال بطريقة تعبر عن عدم الرغبة:

- خليها وقت تاني عايز أنام منمتش من إمبارح وكل ده في الشارع.

- ياسيدي مش هانتأخر تعالي بس احكيلي اللي في دماغك وروح نام.

وافق خالد على طلبها بعد إلحاحٍ متواصل ، واتفقا أن يتقابلا في إحدى الكافيهات.

****

كان "إسماعيل" يعرف مكان المكتب فلم يحتاج إلى عنوان ليرشده إلى المكان ؛ فهو يعرف الطريق حتى وصل إلى المكان ودخل ليقابل الأستاذ "مروان" الموظف الذي استفسر منه عن الرحلة ، سأل "إسماعيل" على مروان فلم يجده ، فجاء صوت أنثوي خلفه:

- أهلًا يافندم ، أنا حنين مساعدة الأستاذ مروان ، أقدر أساعد حضرتك في إيه؟

- أهلًا يا أستاذه حنين ، أنا كنت كلمت أستاذ مروان عشان الحجز، بس مكنتش أعرف إنه مش موجود النهارده.

- لا هو موجود يافندم ، بس راح مشوار وراجع تاني.

- طيب أقدر أستناه؟

- الحقيقه يافندم والله مش عارفه هو هيرجع إمتي ، حضرتك قولي محتاج إيه وأنا هساعدك لو أقدر.

شرح لها "إسماعيل" ما حدث مع "مروان" وتفاصيل مكالمته الصغيرة معه، حتى قامت بواجبها وأتمت تسجيل بيانات "إسماعيل" حتى يكون وافدًا جديدًا لرحلتهم.

****

الفصل الثاني

تجلِس "أسماء" على إحدى الكافيهات المطلة على الكورنيش ، تنفُث دخان سجارتها كالعاده. كانت جالسة على إحدي الطاولات التي تتيح لها رؤية كاملة للكورنيش ، وجدت رجلًا عجوزًا يوحي بأنه في العقد السادس من عمره يمشي وينظر إليها بطريقة تشير إلى الاشمئزاز، فوجدت "أسماء" نفسها وهي تضحك ضحكة عالية حتى أثارت جدل من حولها ، ثم بطريقه إستفزازيه نفخت الدخان مرة أخرى وهي تنظر إلى ذلك الشخص لتخبره بذلك أنهُ لا يهمها رأيهِ فيها ، فلتذهب إلى عالمك ولتتركني أنا في عالمي ، فكل منا يحمل داخله عالمًا يعيش فيه ، وكل شيء في هذا العالم مغتفر سلفًا وكل شيء مسموح به بوقاحة ، فهذا كان رأيها دائمًا.

ثم حان موعد ذهابها إلى الأستوديو فيجب عليها أن تتم بعض الأعمال قبل أن تذهب إلى رحلة العمل تلك ، فكان هذا روتينها اليومي ؛ تجلس في نفس المكان ، تشرب قهوتها ثم تذهب إلى عملها حتى تنتهي من يومها وتعود إلى منزلها.

*****

قامت "حنين" بترتيب أغراضها حتى تبدأ بالعمل ؛ هناك الكثير من الأعمال التي يجب أن تقوم بها حتى تترك فرصة لزملائها وأصحاب عملها بالأستمتاع بفترة راحتهم ، فهي معتادة على كثرة العمل وتجد متعة في القيام بذلك.. أتي اتصال على الهاتف الداخلي للمكتب ليأتي صوت موظفة الاستقبال يخبرها بوجود من يطلب حضورها ، لبت "حنين" الطلب وخرجت لتقابل ذلك الشخص ، وجدت "حنين" في ذلك الشخص رهبة قوية لا تعرف سببها ، ولا تعرف لماذا أيضًا فأحست بالريبة منه، فأخبرها

بأنه قام بالاتصال في مساء الأمس بموظفة تدعى"حنين" فأخبرته بأنها المقصودة.

كانت تنظر إليه بطريقة لا تعلم هي سببها ، تنظر إلى عينيه وكأنها قاع بحرعميق لا تستطيع أن تصل إلى نهايته ؛ تحب أن تنظر في عيون من أمامها حتى تشعر بصدق ما يقوله ، فمن الصعب أن يقوم بخداعها أحد فهي تجيد لغة العيون جيداً. فلم تجد فيه العيون المتفحصة التي تراها دائمًا في وجوه من يتكلمون معها..

تذكرت آخر اتصال أجرته في ليلتها الماضية لتتذكر اسمهً "خالد" ، تكلمت معه ثم قامت بإجراء تسجيل البيانات من أجل الحجز، ولكنها كانت في عالم آخر لا تعرف لماذا دخلت فيه!! دائمًا نرى أشخاصًا لأول مرة نشعر بأن سيكون لهم بصمة في حياتنا هو شعور لا نعرف سببه ، ولكنه يحدث بطريقة مستمرة فكان هذا الحال مع "حنين" حينما رأت "خالد".

كانت شاردة في مكتبها لا تعلم أيضًا لماذا؟!! أخذ هذا الموضوع حجمًا كبيرًا شعرت بشعور غريب ، شعور الخوف مع مزيج من الفضول لمعرفة سرهُ ، فدائمًا تقابل أشخاصًا يملكون نفس الصفات ، ولكن لا أحد منهم كان يأخذ هذا الحجم كله من تفكيرها ، فخرجت من شرودها لتعلن موظفة الاستقبال مرةَ اخرى على الهاتف بوجود شخص ما يريد أن يتحدث مع الأستاذ "مروان"، فقامت من على كرسيها بطريقة آلية وحاولت أن تنفض كل هذه التُّراهات من رأسها حتى تستطيع أن تواكب عملها بطريقة صحيحة ، كان هذا الأخير اسمه "إسماعيل"؛ كان شابًا لطيفًا ، وكان وسيمًا لدرجة مقبولة ، فمن ملابسه وللوهلة الأولى تقول عليه من الشباب المرفهين الذين يهتمون بكل تفاصيل مظهرهم ، أتمت معه ما تم منذ قليل مع

"خالد" وعادت مرة أخرى لما يشغلها ، قامت بالاتصال "بمروان" عليها أن تتأكد بأنه قام بحجز حافلة أخرى من أجل الوافدين على برنامج رحلتهم ، فعدد الأشخاص الذين قاموا بالحجز تخطى العدد المسموح الذي يتحمله عدد حافلة واحدة. وبعد إنهاء كل هذا ستذهب بسيارتها حتي تقوم بإصلاح الخلل الموجود بها كما رتبت صباحًا.

*****

"ميار" شبه نائمة في غرفتها ، لا تعرف ماذا تفعل ، لا تستطيع أن تتوقف عن التفكير

حتى قاطع صوت أختها الصغرى تخيلاتها.

– إيه يابنتي إنتى لسه نايمه؟ قومي يلا عشان ننزل نحضر الحاجات اللي هناخدها معانا.

فقالت "ميار" بطريقة عادية:

– خليها يوم تاني مش قادره أنزل النهارده.

– يابنتي قومي بقى بلاش كسل عشان مانعرفش اليومين اللي جايين ممكن إيه يشغلنا ويخلينا مانجهزش حاجه.

– خلاص انزلي إنتي وهاتي اللي إنتي شيفاه ناقص.

فقالت بطريقة تشير إلى الاستياء:

– لا هتنزلي معايا إنتي عارفه إنى بضرب لخمه بسرعه ومش هعرف أتصرف.

كانت "ميار" لا تعرف ماذا تريد أن تفعل ؛ هل تظل في مكانها أم تذهب مع أختها؟ في الأخير وافقت "ميار" على طلب أختها ونهضت لتبديل ملابسها.

*****

كان كل من "مروان" و"أروى" متواجدين بإحدى الأماكن المعروفة بالهدوء بإحدى مناطق الإسكندرية ، فاختار "مروان" هذا المكان حتى يستطيع أن يتحدث مع "أروى" بدون مشاكل.. فهذا المكان كان المفضل بالنسبة لهما ، وكان شاهدًا على حبهم طوال سنوات.

كانت شبه غائبة عن العالم المحيط بها ، أما "مروان" فكان مترددًا في أن يبدأ كلامه ؛ فهو لا يريد أن يضغط عليها أكثر من ذلك ، فقال مستعيدًا بعض الذكريات بينهما كافتتاحية للحديث:

– فاكره يا أروى لما كنا قاعدين هنا من تلت سنين؟ لما بدأنا أول مره نفكر في موضوع المكتب؟

قالت وكأنها تستعيد تلك الذكرى.

– آه يامروان فاكره ، الحمد لله قدرنا نحقق الحلم ده.

– الحمد لله طبعًا ، وكل ده عشان بس إنتى وقفتي جمبي.

فقالت "أروى" مبتسمة:

– ربنا يخليك يامروان ، بس برضه منكرش إن تصميمك فى إن الموضوع ده يتم كان سبب برضه.

– أكيد يا أروى كان سبب ، وزى ما إنتي بتقفي جمبي برضه واجب عليا أكون جمبك وقت ما تحتاجيني من غير ما تطلبى مني ده.

صمتت ولم تعقب ثم قال"مروان" مكملًا لحديثه:

– إنتي بقالك كام يوم متغيره ، شايف فيكي أروى تانيه غير اللي بشوفها .. اتحولتي بطريقه كبيره. قوليلي إيه السبب في كل ده ، إنتي عارفه إني بقدر افهمك بسرعه ، وعلى طول سرنا مع بعض ولبعض كمان ومحدش يعرف عننا حاجه ، إيه اللى مخليكي ساكته كل ده مع إن عمرك ما خبيتى عني حاجه.!

كانت تشعر وأنها على وشك الانهيار ؛ "فمروان" كان محقاً ، فلماذا تعاقبه على ذلك؟! هو أحبها حبًا كبيرًا وأعطاها كل اهتمام في حياته ، تجد فيه الصديق الوفي الذي تجده كلما احتاجت إليه ، وعلاوةً على ذلك كان يعطيها حقها كاملًا في الحب .. كان دائمًا صادقًا معها حتى لو كان هو المخطىء في حقها. فلماذا تفعل به ذلك؟ لماذا لا تصارحه؟.. ولكنها لا تريد أن تصارحه ، هي تعلم أن "مروان" سيسامحها حتى لو كان ما فعلته دنيئًا وحقيرًا، ففي صراحتها له فهي بذلك ستقطع له وعدًا بعدم تكرار ما فعلته ، ولكن في قرارة نفسها فهي تعلم جيدًا أنها ستعيد هذا الفعل ، إذًا لتستمتع بهذه اللذة قليلًا ثم تخبره مرة واحدة عندما تكتفي ، هنا قد طغى شعورها الجديد على شعورها القوي تجاه "مروان" ليأتي محطمًا كل سنوات الحب والإخلاص بينهما.

فقالت بعد وقتٍ طويل من الصمت:

– صدقني يامروان هو تعب مش أكتر، عادى أنت عارف إنى بقلق بسرعه وببقى عايزه أدي كل حاجه حقها ، فعشان كدا خايفه يكون كل اللي بنعمله ممكن يروح على الفاضي.

يعرف جيدًا أن حبيبته من النوع الذي يقتله القلق بسرعة ، ويعلم أيضًا أنها تحب أن تتم كل شيء بأدق التفاصيل ولا يفوتها شيء ، فحاول أن يُصدقها أو أوحى له عقلهً بأنها صادقة ، إذًا سيتعامل على هذا الأساس..وليذهب الشك إلى الجحيم.!

– ياحبيبتي والله كل حاجه هتبقى كويسه وغير كده حتى لو فعلًا فشلنا ، ده مش نهايه اللي إحنا عايزينه ، هنكمل لحد ما كل حاجه تبقى صح زي ما إحنا عايزين و..

قطع حديثه رنين هاتفه ليجد أن الاتصال من "حنين" فأستأذن مروان من أروى حتى يجيب..

– آسفه والله يامروان إني اتصلت بيك ، بس كنت عايزه أتاكد إنك حجزت الباص التاني ؛ لأني من الصبح عماله أسجل الناس في كشوفات الحجز على أساس إنك قولتلي هتحجز باص تاني!

– آه ياحنين حجزته ، وعادي كملي حجز لحد ما الاتوبيس التاني برضه يكتمل وبعد كده وقفي الحجز، وأنا لما ارجع المكتب هظبط الموضوع ده برضه مع الفندق اللي متعاقدين معاه.

– تمام يامروان هو خلاص فاضل عدد بسيط جدًا وكدا نخلص من موضوع الحجز ونرتب لحاجات تانيه نبقى نتكلم لما ترجع و سّلم على أروى.

أنهي الاتصال وعاد مرة أخرى لحبيبته الشاردة ليكملا حديثهما في محاولة لإخراجها من حالتها الحالية..

*****

ذهب "خالد" إلى المكان المتفق عليه بينه وبين "مريم" فوجدها في انتظاره ؛ كانت في العقد الثالث من عمرها ، كانت فاتنه كعادتها ، وحيدة أبويها .. أبوها من كبار رجال الأعمال في مصر، وكانت "مريم" حرة في قرارتها ؛ فهي ابنة لأب وأم عاملين ، مشغولون دائمًا بعملِهم ويتركان لها الحرية في اتخاذ قرارتها..

جلس خالد في الجهة الأخرى "لمريم" وكان عليه إمارات التعب كما أخبرها في الهاتف ،

فقالت مازحة:

– إيه ياسيدي اللي شاغل بالك ، مش كنت تيجي تشيل الهم اللي أنت فيه ده معانا إمبارح أو معايا.

فقال بطريقة خالية من كل التعابير ليسحب سجاره ويقوم بإشعالها ، حتى يجد ما يشغله عن النظر إلى "مريم":

– أبدًا شويه تعب بسيط كده بسبب قلة النوم ، إمبارح كنت في الشركه بخلص شويه حاجات كده وإنتي عارفه اليومين اللي بروح فيهم الشركه ببقى عامل إزاي.

– ماشي ياعم خالد ، بس صدقني الجو إمبارح كان عايزك.

تعرفا على بعضهما منذ عامٍ بالصدفة عن طريق أحد زملائه ، فباتا سويًا في مجموعة واحدة هو و"مريم" وبعض الأصدقاء الآخرين في دائرة الرفاهية والملذات والسهرات الخاصة ، لينتهي الحال به هو و"مريم" بالزواج "العرفي".

قال "خالد":

– عادي تتعوض ، كده كده مسافر كمان خمس أيام دهب ، أقعد مع حالي شويه.

فقالت مندهشه:

– مع حالك ؟ متأكد إنه مع حالك؟!

– آه لوحدي يامريم ، ولو مش لوحدي يعني إنتي مالك؟

– أنا مالي؟!!إ يه اللي أنا مالي ديه ياخالد ، أنت بقيت بتتصرف تصرفات غريبة بقالك فترة.

– وهو عشان عايز أقعد لوحدي بعيد عن الناس أبقى بتصرف تصرفات غريبه ؟ ليه متقوليش إن إنتى اللي غريبه؟

فاعتدلت "مريم" في جلستها ثم سحبت سيجارة هي الأخرى.

– لا ياسيدي أنا مش غريبه ، بس اللي بيني وبينك مش مكان مقفول علينا وبس ، المفروض تبقى علاقتنا مش مبنيه على كده وبس.

شَعر وبأنها بدأت فى أتخاذ منحني آخر في الحديث.

– والله يامريم أنا مغصبتكيش على حاجه وغير كل ده هو ده طريقك اللي إنتي وخداه وأنا خدته معاكي ومع باقي المجموعه اللي نعرفها ، وكل واحد فيكم فاهم دماغي ماشيه إزاي وإنى بعمل حاجات متخطرش على بال حد فيكم ، فإيه اللي مخليكي مستغربه يعني؟

رفعت قدمها فوق الأخرى وقالت باستفزازٍ واضح:

– مغصبتكيش على حاجه ،أنت تعرف إن الكلمه ديه بقت قديمه أوي ؟ وبعدين أنا مراتك.

– قديمه أوي ؟ على فكره إنتي اللي طلبتى مني ده مش أنا اللي طلبت ، فَلو مفكره إن ده يديكي الحق إنك تتحكمي في قرار أنا باخده يبقى تريحي دماغك لأنك فاهمه كويس إن مافيش حد ربنا خلقه ليه السلطه إنه يتحكم فيا.

إبتسمت" مريم" ابتسامة فهمها خالد جيدًا، ثم تابع كلامه:

– بس تصدقي فعلًا فاتتني القاعده بتاعت إمبارح؟.. شكلها كانت قاعده حلوه جدًا ده حتى تأثير اللي إنتي شربتيه لسه باين عليكي أهو وشكلك مش فاهمه كويس أنا بقول إيه.

قامت بإطفاء سيجارتها بطريقة آلية لتنهض من مكانها وذهبت خارجًا دون حتى أن تودع خالد ولو بكلمة واحدة.. لم يعقبعلى ما فعلته فهو وجد راحة كبيرة عندما غادرته "مريم"، ليفرد ظهره على الكرسى ويسرح في أفكاره.

*****

أخذت "حنين" سيارتها حتى لا تضيع الوقت الباقي من اليوم ، فالساعة قاربت على الرابعة عصرًا.. استقلت سيارتها واتجهت إلى العنوان المحدد الذي حصلت عليه من صديقتها نُهى ، كانت طوال الطريق تفكر في ذلك الشخص الغريب الذي قابلته في الصباح.

حاولت أن تنفض عن رأسها تلك التُّراهات ، أني يتعلق فكرها بشخصٍ رأته لأول مرة في حياتها وحوارهما كان لا يتعد العشر دقائق وكان الحوار بينهما حوارًا في سياق العمل ،لماذا حكمت عليه بالسوء؟ ولماذا أيضًا تستطيع أن تحكم عليه بأنه شخص مسالم ، ولماذا يهمها من الأساس..!

كانت تدخل في أزقة كثيرة حتى سألت أحد المارين بجانبها عن ورشه الحاج "صُبحي" فمشيت بسيارتها كما أخبرها ، حتى وصلت إلى مكان الورشه ؛ ورشة صغيرة ، يعلوها يافطة مكتوب عليها "ورشه الحاج صُبحي للسيارات".

ترجلت من السياره حتى تقابل أحد العاملين ، كان هناك رجلاً عجوز يمسك بيديه كتاب كان مُنهمكًا في قراءته ، فألقت عليه السلام ، فرد عليها ثم قال لها:

- وعليكُم السلام ..تحت أمرك يابنتي.

- الأمر لله ياحاج ، أنا جيت لحضرتك على حسب كلام ناس زمايلي عليك ، وإن حضرتك كويس في شغلك وهم بيشكروا فيك ، فكان عندي مشكله في العربيه كنت عايزه حضرتك تشوفهالي.

فابتسم الحاج صُبحي ، وقال معقبًا:

- ربنا يكرمك يابنتي.

ثم أكمل بابتسامة:

- بس زي ما إنتي شايفه أنا راجل خلاص راحت عليا ، بس البركه في "إسماعيل" اللي شغال معايا ، هو بإذن الله هيقدر يساعدك.

فنادى الحاج "صُبحي" على صديق عملهِ ..

- نعم ياحاج تحت أمرك.

فرد عليه بإشاره منه "لحنين":

- شوف الآنسه محتاجه إيه واعمله يابني.

كانت "حنين" تنظر إلى إسماعيل مُندهشة ، نعم ، هو ذلك الشخص الذي لفت انتباهها صباحًا بسبب مظهره الأنيق وأسلوبه الراقي ، ولكن ماذا يفعل هنا بتلك الملابس البالية التي يملؤها التراب وآثار الزيت الأسود عليها؟!

فقال "إسماعيل" لها بطريقة ودودة:

- تحت أمرك يا أستاذه "حنين" ، كنتي قوليلي طيب وإحنا في المكتب كنت عملتلك اللي إنتي عيزاه هناك بدل ما تتعبي نفسك وتيجي هنا.

ثم سحب كرسيًا "لحنين" وطلب منها الجلوس. كانت "حنين" تبتسم "لإسماعيل"، منذ ساعاتٍ قليلة كان يحجز في رحلة وكان يتكلم بأسلوب شخص متعلم راقٍ.. ما هذا يا "إسماعيل"! هل هو يوم مقابلة الغرباء لديها؟

- إيه يا أستاذه "حنين" مستغربة؟

- بصراحه يا إسماعيل آه مستغربه ، أنت فعلًا حد كويس جدًا.

- ربنا يخليكي، أنا بحب الشغل ده ، وعايز كمان أزود خبرتي فيه ، وربنا يخلي الحاج صبحي هو السبب فإني اتعلمت الشغل اللي بحبه وهو اللي بيشجعني فإني أسافر ألمانيا إن شاءالله..

فقالت "حنين" مشجعة:

- طبعًا يا إسماعيل كمل في اللي بتحبه حتى لو في مليون طريق سد قدامك الحياه مش بتقف وأنت ماشاءالله عليك باين من طريقتك وأسلوبك إنك ناجح في حياتك ، وكمان اللي يثبت ده كلام الزباين اللي بتجيلك.

كان الحاج "صُبحي" جالسًا في مكانه لا يتكلم ، فقط ينظر للشباب أمامه ويبتسم ابتسامة رضا عن الحوار القائم بينهما.

فرد "إسماعيل":

– شكرًا يا أستاذه حنين ، أؤمريني تحت أمرك مالها العربيه؟

شرحت ما يزعجها في السيارة ثم أخبرها بأن تستريح قليلًا حتى ينهي عمله..

شكرته "حنين" ثم عادت لتجلس بجوارالحاج "صبحي"، ثم قالت مداعبة..

– قولي بقى ياحاج صبحي عرفت منين إني آنسه.

– يابنتي الواحد كل ما بيكبر في العمر صدقيني بيشوف الدنيا بشكل تاني ، يعني إنتي باين عليكي إنك لسه آنسه.

– بس إيه اللي أكدلك ده؟

– فيكي حيويه الشباب اللي لسه مهدهمش تعب البيت ، ومش باين عليكي إنك شايله هم بيت أو جوز أو عيال.. بس باين عليكي إنك شايله هم حاجات تانيه، بس عادي مشاكل الشباب مش بتخلص.

– عندك حق ياحاج صُبحي ، بس تنصحني بأيه؟

– إنك طالما شايفه إن اللي بتعمليه صح وفعلًا هو صح كملي فيه حتى لو في ناس كتير حواليكي مش عاجبهم حياتك ، صدقيني لو كل واحد ركز في مشاكله وحلها هيرتاح أكتر، كلنا عندنا نفس العقل اللي ربنا خلقنا بيه وهيحاسبنا على تفكيرنا إحنا.

كانت مستمتعة بكلام الحاج "صبحي" ..وجدت فيه حنان الأب المفقود ، فلمحت مرة أخرى الكتاب الموجود بين يديه ، فزادت دهشتها أكثر وأكثر؛ كان الكتاب ليس كتابًا عاديً ا، بل كان "الإنجيل" ، فلمح الدهشة على وجه "حنين" فقال مسترسلًا:

- مستغربه صح ؟ آه ياستي ده "الإنجيل"، أنا مسيحي مش مُسلم.

- إزاي الحاج صبحي ومسيحي ؟

- هم المسيحين مش بيروحوا الحج هما كمان ولا إيه يابنتى ؟

ثم قطع الحديث بينها وبين الحاج "صُبحي" صوت "إسماعيل"، ليخبرها بأنه أتم الإصلاح وتستطيع تجربة السياره..

استأذنت حنين من الحاج "صُبحي" وشكرته على ضيافته ، ثم شكرت أيضًا "إسماعيل" وودعته على وعدٍ بلقاء في وقت الرحلة.

خرجت حنين من سيارتها مرة أخرى قبل أن تتحرك بها لتذهب متأسفة ..لتخبره بأنها نسيت تمامًا أن تدفع ثمن الخدمة التي تلقتها..

- يابنتي هو أنا اللي صلحتها؟

- لا.

فقال مداعبًا:

- خلاص روحي للي صلحهالك وقوليله الكلمتين دول.

إبتسمت ثم ذهبت"لإسماعيل" حتى تعرف ما هو ثمن خدمتهُ لها فأخبرها:

- لا متشغليش بالك ديه كانت حاجه بسيطه مخدتش وقت زي ما إنتي شايفه ، وبعدين اعتبريه رد للواجب اللي إنتي عملتيه معايا الصبح في مكتبك.

أصرت "حنين" على كلامها حتى وافقت في الأخيرعلى طلب "إسماعيل" بعدم دفع أي تكاليف ، ثم عادت لسيارتها لتنطلق بها إلى المنزل.

*****

كانت الساعة حوالي السابعة مساءً حين انتهت "أسماء" من آخر جلسات التصوير المسجلة في جدولها ، لا تعرف ما يجب عليها أن تفعل ، فلا يوجد شيء تفعله هل ستذهب إلى منزلها؟ وبعد ذلك؟لا شيء.

فتهيأت للرجوع إلى منزلها ولتذهب إلى عالم آخر بطريقتها ، بعد أن وصلت إلى قامت بارتداء ملابسها المنزلية ، وبتحضير ما تحتاجه من أجل سهرتها المنفردة ؛ قامت بجلب زجاجة الخمر، وعلبة السجائر وبعضًا من المُسليات ، ثم قامت بتشغيل التلفازعلى قناة تعرض أفلام أجنبية ، ثم عدلت من موضع جلوسها وقررت السفرإلى عالمٍ آخر.

كانت "أسماء" تقوم بسكب بعض كؤوس الكُحول داخل جوفها ، كانت تشعر بالانتشاء إلى أقصي الحدود. نعم ، هي تكره هذا العالم الذي وجدت فيه ، تكره كل من حولها، تخاف من أن تقترب أو أن يقترب منها أي شخص ؛ فالمواجع بالنسبة إليها جمع لم تعد تستعمل مفردة..

فردتّ ظهرها على الأريكة التي كانت تجلس عليها وغطت وجهها بيدها لتضحك ضحكًا لا معنى له ، ولا سبب له سوى الوقوع تحت تأثير الكُحول.

في حياتها تلك الخمر هو الشيء الوحيد القادرعلى إضحاكها ؛ ولذلك أدمنته ، أدمنت كل أثر جميل يتركه داخلها ، فهي تشعر وأن الكأس صار صديقها المقرب الذي تستطيع أن تتحدث معهُ بحرية ، وإن لزم الأمر يضحكها حد الجنون بلا أى سبب..!

*****

عاد "مروان" إلى منزله رائق البال بسبب ما أنجزه من حديث مع "أروى" ؛ في ذلك الحين قام بإجراء اتصاله المعتاد حتى يطمئن على عودتها هي الأخرى إلى المنزل ..فكانت إجابتها بأنها وصلت وتتهيء نفسها للنوم ، فأستغرب مروان ذلك فمازال الوقت باكرًا...تركها على راحتها وقرر هو أيضًا بأن ينام حتى يستيقظ باكرًا مستعدًا ليومٍ جديد ، ولكن كان من الصعب على "مروان" الخلود إلى النوم ، فكان وسواسه الداخلى يفتك به ، هو بطبعه ليس شكاكًا وحتي لو كان في داخله ذرةً من شك فمن المستحيل أن يشك "بأروى" ، فعقله يراجع كل تصرفاتها وكل حركة من حركاتها وشرودها المستمر ، هناك شيء ما.. حاول ثم حاول أن يقاوم كل تلك الوساوس ولكنه لم يفلح.

فدعا ربه بمعجزة من عنده لتغير الأقدار وتنهي كل ما بداخله من شكوك ، وضع سماعات الأذن وقام بتشغيل بعض من آيات الله الكريمة حتى غفا عليه النوم وليقرر الغد ما يقرره.

*****

لم تتصل "ميار" "بإسماعيل" طوال اليوم ، وعندما حادثها هو أخبرتهُ بأنها كانت مشغولة في القيام ببعض الأعمال مع أختها..فماذا لو أخبرته بأن انتظارها لمحادثتهُ كإشتياق السجين للحرية!! ولكن هيهاتّ بأن تقول مثل

هذا الكلام مرةً أخرى ، قررت عدم إخباره برحلتها ، تريد أن تخبره بقرارها الذي اتخذته لنفسها عندما تعود.

كانت "ميار" مُرهقة عندما عادت إلى المنزل بعد أن أنهوا ما خرجوا إليه صباحًا ، كحال الجميع يذهبون إلى النوم هروبًا من الواقع ليس أكثر، ولكن لماذا نكرر تِلك الجمله بشكلٍ كبير وبصورة مستمرة حتى أصبحت كلمة أساسية في حديثنا عندما نتفوه ببعض التُّراهات عن مشاعرنا؟

لا يوجد أحدا قويا هذه إشاعة يكررها الكثير، ولكن الجميع يخضعون تحت قانون الاحتياج الداخلي ؛ فجميعنا مكسورون ومذلولون ولكن لا نستطيع البوح بالحقيقة.

*****

شعر "خالد" بالنشوة تسري داخل عروقه..

جاْت رسالة من تلك "المجهولة" لتخبرهُ أنها في الموعد بعد نصف ساعة ، ولكن ستقوم بإنهاء بعض الأعمال أولًا..

أنهت كلماتها بجملة أخيرة جعلته لا يصدق بِأنه واقعٌ يحدث أمامه وأن تلك الكلمة خرجت بتلك الطريقة لتجعله يضحك ضحكًا هيستيريًا.

-أنا بحبك.

*****

الفصل الثالث

"اليوم السابع":

كل منهم يحمل داخله أفكارًا لا تنتهي..

كل منهم يحمل بداخله ذكرياتٍ ومواقف قديمة يراجعها باستمرارٍ، فهل سيتغير كل هذا ؟ وتتغير كل طرق التفكير في يومين أو ثلاث ؟

لنتابع:

قام "مروان" وبمعاونة مساعديه في العمل ؛ "أروى" و"حنين" ، وبعض العاملين معهم بوضع كل فردٍ في مكانه في الحافلة الخاصة به ؛ حتى اكتملت الحافلة الأولى وانطلقت بأمان ، وكان كلاً من "مروان" و"أروى" المرشدان للمجموعه داخل تلك الحافلة..

أما الحافلة الثانية فعلت راجعت "حنين" كشوفات الأسماء للأفراد الموجودين فكانت منتظمه وكان كل شخصٍ مقيدًا لديهم فى الكشوفات موجودًا بالفعل ، حتى تنطلق هي الأخرى بعد ساعة من انطلاق الحافلة الأولى بسبب تأخُر بعض الركاب.

*****

يكره الانتظار، فمِن حسن حظه أنه كان من الأشخاص الذين ركبوا أول حافلة على خط الانطلاق.. يجلس شاردًا طوال الطريق ، لا يطيق الانتظار حتى يصل ويرى ما يمكن فعله في هذا المكان..

ذهب العديد من المرات بمرافقة زُملائه إلى هناك ، ولكن كان يريد أن يجرب ما تقدمه البرامج المطروحة من ذلك المكتب بخصوص تلك الرحلة..

يريد أن يقضي على ذلك الشيطان ..وأن يحاول أن يحيد عن الطريق الذي يمشي فيه بدون إرادةً منه ؛ فبرغم من إنه إنسان حُر فإنه يشعر دائمًا بأنه مُقيد.

تتشتت أفكاره بين الحُب، والغدر، والاشتياق، والبؤس، والموت ، والجحيم.

ليس متيقنًا تمامًا تمامًا ما السبب في هذا البؤس والتشاؤم؟ كل شيء أصبح غير مُهم ، لا يكترث لشيء فقط يجلس ويتفوه ببعض الكلمات الفاشلة التافهة التي لا فائدة منها ولايشعر بها أحد ، لقد خسر أغلى ما يملُك ؛ خسر الحُب لأسبابٍ يحكمها القدر، ، ليس لديه سبب واحد يدعوه للتفاؤل ، وبعد الكثير من محادثتهِ لنفسه لفت نظره تلك الفتاة التي تقوم بشرح برنامج الرحلة أمام الناس في الحافلة.

يرى تلك العيون المُنكسرة التي لفتت انتباههُ إليها ، ربما ستكون موضع تسليته الجديدة حتى لو كانت من طاقم إشراف الرحلة.

عشق الأنكِسار الواضح عليها ؛ فكانت "أروى" لا تستطيع أن تمحي آثار التعب والشرود ، حتى لمحها "خالد" بالصدفة.

*****

تجلس "ميار" بجانب أختها وكان أخوها الأكبر في المقعد الأمامى ، كانت ممسكةَ بهاتِفها تُراجع الرسائل القديمة بينها وبين "إسماعيل" ، وتستحضر ما كانت تشعر به في كل رسالة تقوم بإرسالها أو تستقبلها.

فهي تُحبه حد الجنون الذي بات كالمرض داخلها ولا يوجد له علاج ، لاحظت أختها شرودها:

- الحمد لله إننا أول أتوبيس إتحرك ، كان زماننا لسه واقفين.

فقالت ميار بطريقة آلية ومازالت ممسكه بالهاتف:

- آه الحمد لله

- آخده بالك إنتي من اللي قاعده جمب الشملول أخوكي اللي معاها الكاميرا ديه؟ ياترى هيضفحنا ولا هيبقى عبيط زي عوايدُه.

ضحكت ميار ضحكة خفيفة وقامت بضرب أختها ضربة خفيفة حتى تصمت.

*****

تحمل "أسماء" حقيبة يدها التي لا تفارقها أو كما تسميها "شنطة العدة" ؛ فبداخلها كل شيء تحتاجه من أجل السهرات الخاصة ، فجمعت بعضًا من أشيائها حتى تجرب تلك السهرة في هذا المكان الجديد ، كما كانت تحمل معها أدوات التصوير الخاصة بها من أجل السبب الأساسي الذي يقودها إلى ذلك المكان ، كانت تعبث بهاتفها وبدأت في وضع سماعة الأذان حتى تبدأ بتشغيل الموسيقى لتسليتها طوال هذا الطريق الطويل ، حتى يقطع عليها ما تفعله صوت الشاب الجالس بجوارها:

- هو حضرتك فوتوغرافر؟

فقررت أسماء اللعب قليلًا .

- لا مش فوتوغرافر الكاميرا ديه سرقاها.

فضحك الشاب وقال معقبًا عليها:

- "هههههه" طيب شكلك سرقاها مني.

فقالت بطريقة مستفزة:

- "هاهاها" طيب ممكن تسكُت عشان شكل دمك تقيل ؟

لمحت علامات الإحراج التى ظهرت عليه ، فقالت..

- بهزر معاك.

وقامت بتغير اتجاه رأسها إلى الأمام ، ثم قالت بعد أن التفتت إليه مرة أخرى لتجده ينظر إليها مبتسماً..

- أنت دمك مش تقيل ، أنت شكلك عبيط .

ثم ضحكت ضحكة عالية سمعها كل من في الحافلة ونظروا إليها ، ثم قالت بصوتٍ مسموع بعد أن رأت كل الأعين تشير إليها.

- إيه مالكُم؟ مشوفتوش واحده بتضحك قبل كدا؟

*****

جلست "حنين" فى مكانها بعد أن قامت بشرح البرنامج ، وقامت بمصافحة "إسماعيل" الذى كان من ضمن الركاب فى الحافله.

- إزيك ياباشمهندس ، كدا تأخرنا النهارده ؟

فقال "إسماعيل" بنبرة لا يخلو منها المرح:

- بتتريقي عليا؟ ماشي ياستي ، وحقك عليا والله عشان اتأخرت كان غصب عني.

- ولا يهمك ياسيدي أجازه سعيده إن شاء الله.

- إن شاء الله ، وشرفينا بقى وارفعي راسنا كده قدام الناس.

ابتسمت ثم قالت:

– مبسوطه والله بجد إنك معايا في الباص مع إن اسمك كان في الباص اللي طلع الأول.

– أنا أكتر والله ده شرف ليا طبعًا إني أكون معاكي.

– ياراجل متكبرهاش أوى كده عادي ياعني.

– لا إزاي! ما كل واحد بيبدع في الحاجه اللي بيحبها فعايز أشوف إبداعك بقى.

شكرتهُ "حنين" على لباقته وذهبت تبحث بعينها عن ذلك الشخص فلم تجده ،راجعت مرة أخرى كشف الأسماء فهي تتذكر اسمه نعم "خالد" ، ولكنها لم تجده من المؤكد أنه في الحافلة الأولى وستراه بالفعل عند الوصول.

*****

بعد السفر لمدة طويلة بسبب طول المسافة بين مدينتي الإسكندرية ودهب وصلوا إلى الفندق في حوالي الساعة الرابعة عصرًا ، بعد أن نزلوا من الحافلة أشار للجميع بالتجمع ووقف أمامهم وقال بصوت عالٍ:

– حمد الله على السلامه ياجماعه ، طبعًا زي ما قولت لحضراتكم إننا النهارده مش هنقدر نعمل حاجات كتير بسبب إننا جايين تعبانين من السكه ، فبإذن الله هنبدأ نروح الغرف بتاعتنا وكل واحد حر في اليوم النهارده يعمل اللي هو عايزه ، بس بإذن الله هنتجمع بليل الساعه ١٠..هيكون موجود كل أفراد الرحله وهتكون في سهره على شاطىء الفندق، الجو هناك جميل وفعلًا هيعجبكم وبليل هوضح لحضراتكم هنعمل إيه تاني يوم ويارب تكون رحله سعيده عليكم.

فقام كل من "مروان" و"أروى" بتسكين أفراد الرحلة في الفندق ، وذهبا إلى الاستراحة في انتظار وصول الحافلة الأخرى..

انتظروا حوالي ساعة ونصف حتى وصلت الحافلة ، وأعاد "مروان" كلامه مرة أخرى على أفراد الحافلة الثانية ، وذهبوا جميعًا ليستريحوا من تعب السفر.

بدأ "إسماعيل" في وضع أغراضه في الغرفة التي تسلمها ، ثم فرد جسمه على السرير.. بدأ يخطط لرحلته وكيف يستفيد منها ، قام بارتداء ملابسه الصيفية وقرر أن ينزل حتى يستكشف المكان من حوله حتى يعرف ماذا سيفعل بعد ذلك.. نزل بالفعل إلى الحديقة أمام مدخل الفندق ، ثم تمشى قليلًا حتى وصل إلى شاطىء البحر، واتخذ لنفسه مكانًا بعيدًا عن عيون الناس ، ليجلس بعد ذلك امام المنظرالذي يعشقه.

"أسماء"

أول كلمة نطقها عقله من الداخل ، وبدأ يفكر فيها مرة أخرى ، تلك العيون البريئة التي كان يعشق النظر إليها حينما كان طفلًا ، نعم ، لا يعرف تمامًا ما سبب ذلك الحب!!

حاول أن يبحث عن "أسماء" في"ميار"، ولكنه استبعد تلك الفكرة ، فكيف يعشق أخرى لأنه رأى فيها ما كانت تحمله حبيبته القديمة ؟

كان ينظر إلى البحر ولا ينظر إلا لغيره ،فكانت "أسماء" دائمًا تحب رسم البحر بطريقتها ، فأحب البحر بسببه ، كانت تريد أن تعرف ما وراء هذا الكم الكبير من المياه ، كلماتها تلك ظلت محفورة داخل عقله لا تفارقه حتى

بات يرددها بطريقته هو عندما يجلس وحيدًا شاردًا ، يتمنى لو أن يراها ، فقط يراها ولا يريد شيئًا آخر.

*****

كان "خالد" جالسًا في الكافيتريا الخاصة بالفندق يحاول أن يستطلع وجوه من حوله ، وفي نفس الوقت يبحث عن تلك الفتاة التي كانت مرشدته في الحافلة.

كان ينفث دخان سيجارته كالعادة ؛ فهو يحب أن يكون وحيدًا بعيدًا عن أي شخصٍ يفسد عليه عالمه الداخلي الذي يعيش فيه ، يملُك عالمًا خاصًا داخل رأسه لا يذهب إليه إلا وقت الحاجة عندما يتعب من الأشخاص من حوله يذهب إلى عالمه ؛ حيث يحتوي على الأشخاص الذين يريدهم خالد فقط ، ويرسم لهم حكايات مختلفة على حسب قراراته هو؛ فهو المؤسس الوحيد لهذا العالم ، أو بمعنى آخر عقله هو من رسم هذا العالم الخيالى ، فصار عالمه هذا جزءًا لا يتجزأ منه ، لا يعلم أي شخص شيئًا عنه ، يعيش بطريقته الخاصة فيه ، يعيش كما يحلم أن يكون أو كما يحلم أن يرى الآخرون ، وعندما يخرج من عالمه هذا يقررعقله أن يطغى عليه بسبب تركه لعالمه الخيالى.. ينظر للوجوه من حوله يراقب حركة الأشخاص ، يلاحظ النفاق في أعينهم ، يراقب حركاتهم المستفزة التي يفعلونها فقط حتى لا يحرجون أنفسهم أو ما يطلقون عليه "الإتيكيت"،تلك الكلمة المستفزة كانت تجعله يدخل في نوبة من الضحك.. تعاملوا على طبيعتكم أيها الحمقي..!

*****

فى هذا الوقت استعدت بأن تقوم بأول أعمالها مع العروسين حديثي العهد ، وكانت تلتقط لهم الصور داخل وخارج الفندق ، فأخبرتهم بأن يتجها إلى

شاطىء الفندق ، ولكنهما رفضا بحجة أنهما متعبين من السفر وسيرتاحا قليلًا في غرفتهما حتى يحضرا التجمع الذي أخبرهما به "مروان" في الساعة العاشرة مساءً.

وافقت أسماء بالطبع ؛ فهي لا تملك أن تجبرهم على شيء ، وفي أفضل الأحوال ستكون هي على راحتها في تلك الفترة لتذهب إلى أي مكان تريده.

ذهبت "اسماء" لتجلس أمام أحد حمامات السباحة واتخذت مجلسًا لها، ثم أشعلت سيجارتها وبدأت تراجع الصور التي التقطتها للعروسين ، وكانت تضحك عندما كانت تمر بين الصورة والأخرى ، لماذا تضحك؟!

تلك هي طريقتها عندما تراجع الصور عمومًا التي تلتقطها وقامت بحذف الصور غير المناسبه ، قررت أن تفعل ذلك حتى لا تضغط نفسها في جميع الصور التي ستلتقطها يومًا بعد يوم ، فهذا سيسهل العمل بالنسبة إليها في أن تراجع كل يوم بيومه ، لا تعرف ماذا ستفعل في هذا المكان ، الجميع من حولها يستمتعون وهي وحيدة كعادتها ، ولكنها عشقت تلك الوحدة بعيدًا عن ضوضاء الحديث الممل بين أي مجموعة من الأصدقاء ، ولكن كان هناك أوقات كانت تمرعليها تتمنى فيها لو أن لها أصدقاء ، كانت حينما تعود إلى منزلها وتجد في طريقها مجموعة من الشباب يمرحون سويًا كانت تتمنى أن تجد لها مجموعةً أيضًا..

فهل تلك المجموعات يحبون بعضهم بصدق؟ أم يتجمعون لغرض تضيع الوقت ليس إلا ؟

الإنسان معروف أنه حيوان اجتماعي كما يقول علم الاجتماع ، حتى إن لو لم يقل علم الاجتماع هذا الكلام فبالنسبة إلى "أسماء" هم فعلًا حيوانات

،وهذا ينطبق عليها أيضًا ؛ فهي بالفعل صارت من القطيع كما كانت تقول لنفسها دوماً..

*****

كان كلاً من "ميار" وأختها الصغرى وأخيها يقضيان بعض الوقت أمام إحدى حمامات السباحة ، كانت تحاول "ميار"أن تبتعد كثيرًا عن ذلك الموضوع الذي يجعلها أسيرة للوهم ، وكانت تصب تفكيرها في الاستمتاع بأشياء أخرى.

"إسماعيل"

دائمًا يحادثها عندما يكون حزينًا ، كان من النادر أن يحادثها وهو رائق البال ، تريد أن تحافظ على هذا الحب ، فكيف تفعل هذا وهو من الأساس يفكر في شخصٍ آخر.

كانت تحترم تلك النقطة وتحترم رأيهُ ، فقررت ألا تحادثه بذلك الموضوع وتحاول أن تكون صديقتهُ فقط ، ولكن كيف تصبح صديقته وهي تعشقه حد الجنون ، تريد أن ترتمي فى أحضانه ، تريد أن تشعر بأنه صار ملكها هي فقط ، تريد أن تجعله أسعد شخص بالعالم.. لتمرح قليلًا مع أشخاصٍ يحبونها بصدق من قلبهم مثل:أخوها وأختها ؛ فهي بالفعل واثقة في حبهما لها ، حتى وإن كانت الأخت الوسطى ، فهما يعتبرانها الكبرى..

*****

تجلس"حنين" في غرفتها تتفحص الكتاب الذي تقرأه ، فوصلت إلى جزء يلفت انتباهها ، فقررت أن تنهيه حتى لا يشغلها قراءة ذلك الكتاب عن

رحلتها، كانت تحاول البحث في الكتاب عن ما يفسر لها ما تشعر به تجاه "خالد" هذا ، كيف تتعلق بشخص بسبب نظرة لا معنى لها ؟

فهي لا تتعلق بأحد ولا تبكي لفراق أحد من حياتها.

كانت وصلت من النضج ما يكفيها بأن تعتمد أعتماداً كلياَ على نفسها .. تحب دائمًا أن تساعد من حولها حتى لو كانوا غرباءً عنها ، ولكن كان من المستحيل أن تطلب من أحد أن يساعدها ، يشغلها هذا الشخص وستحاول أن تتقرب منه حتى لو بكلمة لتعرف ما بداخله ، ولكن لماذا يهمك ما بداخله "ياحنين" ؟!

صمت فضولي من حولها ولا مجيب على السؤال.

*****

كانت الساعة حوالي التاسعة والنصف ، جمع مروان أصدقائهُ المساعدين له في العمل ، وكان بالطبع من ضمنهم "حنين" و"أروى" ..كانوا في انتظار تجمع باقي أفراد المجموعة حتى يخبرهم ما سيفعلوه ، كان الأمر بسيطًا قام بشرحه مراون لهم ؛ بأنهم سيجلسون على شاطىء الفندق الخاص ، وسيكون هناك عروضًا مقدمة من الفندق كترحيبٍ منهم لزيارتهم، ومن الغد سيبدأ أول برنامج يقدمه فريق العمل..

جلسوا أمام طاولة خشبيه يتحدثون ويحاولون هم أيضًا الاستمتاع بتلك الرحلة.

نهضت "حنين" فجأة لتقوم بتحية "إسماعيل" ، الذي مّر أمامهم بالصدفة فلمحته "حنين" وقامت بالترحيب به.

- إسماعيل إيه أخبارك؟

فقال بمرحٍ:

- تمام يا مرشدتي ، إنتي إيه الأخبار معاكي؟

ابتسمت "حنين" ابتسامة لطيفة ثم قالت:

- بخير ياسيدي ، أنت ليك عندي واجب يامعلم ولازم أسده.

- واجب إيه ياحنين أنا معملتش حاجه..

- إيه ياباشا نسيت إنك صلحت عربيتي ومأخدتش مني تمن التصليح ؟ دلوقتي بقى لو سمحت عايزه أرد الواجب ده واعزمك على حاجه نشربها.

ضحك "إسماعيل" ثم قال شاكرًا ومرحبًا بالفكرة:

- تمام بس على فكره كده إنتي هتعزميني على حاجات كتير جدًا ، أصل تمن التصليح كان غالي.

ضحِكت ، ثم دعته للانضمام إلى معارفها على الطاولة.

- أعرفكُم ياجماعه ده إسماعيل قابلتهُ بالصدفه لما كنت بصلح عربيتي ، وهو شاب جدع جدًا فلو تسمحوا يقعد معانا شويه.

كان "مروان" ممسكًا بيد "أروى" وفي وقت واحد قالا:

- آه طبعًا يشرفنا.

ابتسم "إسماعيل" لهم ثم جلس معهم على طاولتهم ، وقامت "حنين" بطلب مشروب على حسابها من أجل "إسماعيل"..

فقال "مروان" محدثًا "إسماعيل"متسائلًا:

- هو إحنا اتقابلنا قبل كده؟

فقال "إسماعيل" بتعجب وكانت "أروى" أيضًا في ذلك الوقت تنظر إلى "إسماعيل" نظرة متفحصه..

- تقريبًا آه اتقابلنا ، يمكن حضرتك جيت الورشه عندي؟

فقال "مروان" متحيرًا:

- ورشة إيه ؟

- أنا ميكانيكي في ورشه في سيدي بشر، يمكن حضرتك شرفتني وجيت عندي عشان تصلح عربيتك مثلًا.

- لا مظنش إني شوفتك قبل كده في مكان زي ده مثلًا ، بس هو أنت اسمك "إسماعيل داوود"؟

في تلك اللحظة نظرت "أروى" إلى "مروان" بنظرة تنم عن فهمها لحديثه مع "إسماعيل" ؛ أما "حنين" كانت على حيرةً من أمرها بسبب الحوار بين "مروان" و"إسماعيل" ونظرات "أروى" لهم فكان فضولها يقذف بها إلى أن تتابع الحور بصمتٍ تام.

أما "إسماعيل" فكانت ملامحه تبدلت وكأنه فهم ما يشير إليه "مروان" ..

- آه أنا إسماعيل داوود.

وقبل أن يكمل "إسماعيل" كلامه نهض "مروان" من مكانه مسرعًا..

- أنا مروان أحمد يا خواااااااااجه مدرسة النصر يااااض.

لم تصدق "حنين" ما رأته الآن ، كانت ترى أصدقاء كثرين يعانقون بعضهم البعض على مر الزمن ، ولكنها أبدًا لم تر ذلك العناق وكأنهم كانوا توأم قام بحملهم رحم واحد وفرقتهم الحياة.

قام كلا من "إسماعيل" و"مروان" بعناق بعضهما البعض مع قول كلمات الاشتياق التي تجعل من يراهما يفرح لفرحهما.

- وحشتني يا خواااااجه..

- والله العظيم أنا ما مصدق نفسي يامروان ، وحشتني جدًا يابني.

كانت "أروى" تنظر إليهما وكانت سعيده بلقاء "اسماعيل" مره أخرى ؛ "حنين" تعلم أن "أروى" و"مروان" كانا أصدقاء منذ الطفولة ، فمن المؤكد أنها تعرف "إسماعيل" أيضًا.

- ده أحسن يوم في عمري يابني أقسم بالله ، يخربيتك كبرت وبقيت شبه الحُمار.

- يعني أنت اللي بقيت شبه إيه؟ ما أنت بقيت حُمار برضه يا مروان مش لوحدي اللي أستحمرت.

قال "إسماعيل" مشيرًا ببصرهِ إلى "أروى":

- إنتي أروى صح ؟

فقالت بمرحٍ بسبب لقائها بصديق طفولتها:

- آه ياخواجه أنا أروى ، والله العظيم أنا مبسوطه جدًا عشان شوفتك.

وقام بمصافحة كل منهما الآخر، كانت "حنين" سعيدة جدًا بذلك اللقاء بين أصدقاء الطفولة ولفرحتهم جميعًا.. جلس الأصدقاء الثلاثة وجلست معهم "حنين" قائلة:

- طب والله العظيم أنا فرحانة جدً ا، وصُدفه جميله جداً..

فقال "مروان":

– ده أنا والله على كده أحمد ربنا إن عربيتك باظت.

فضحكوا جميعًا وقالت "أروى" "لإسماعيل":

– بس قولي ياواد أنت عرفت منين إني أروى أحلّويت صح؟

– يعني أول ما جيت قعدت معاكم لقيت مروان ماسك إيدك والمعروف أصلًا أو اللي كنا نعرفه إن اتنين زيكم مستحيل يبعدوا عن بعض ؛ فطبيعي استنتجت إن أنتي أروى ، مروان بيحبك من لما كان لسه عيل بشخه.

كان "مروان" و"حنين" يضحكان بطريقة هيستيرية على جملة "إسماعيل" الأخيرة ، أما "أروى" ضحكت ولكن ضحكتها كانت باهتة لم يلاحظها سوى "إسماعيل" ، فحاول تغيير الموضوع بسرعة قائلًا:

– بس مبروك والله ياعيال على المكتب بتاعكم ، أنتوا عاملين مجهود جامد وغير كده أنا بالصدفه سمعت إن الناس اللي معانا في الرحله بيشكروا في طريقتكم في التعامل.

قالت "حنين":

– والله يابني هم فعلًا تعبوا والحمد لله حققوا اللي بيتمنوه.

فسألها " إسماعيل" :

– إنتي شريكه معاهم يا حنين ؟

فقالت "أروى" لينظر إليها الجميع:

– هي شريكتنا فعلًا حتى لو هي شايفه نفسها موظفه بس في المكتب ، فأنا ومروان عمرنا ما نقدر ننسى اللي حنين عملته معانا.

-شكرًا ليكي يا أروى بس الفضل كلوا بتاعكم أنتوا إنكم قدرتم تحققوا حلمُكم.

فقال "مروان" مخاطبًا "إسماعيل":

- ألّا قولي ياض ياخواجه البت أسماء فين صحيح مش معاك ليه ؟

ليكون الصمت هو بطل جلستهم.

*****

كانت "ميار" في غرفتها ؛ فهي لم تذهب مع الفوج إلى ذلك التجمع ، فضلت الجلوس في الغرفة بعد إلحاحٍ كبير من أخيها وأختها ، ولكنها تحججت بأنها متعبة وستنام قليلًا ، فرضخا لطلبها وذهبا وتركاها وحيده كما طلبت.

بعد أن ذهبا بحوالي النصف ساعة قررت "ميار" أن تنزل لتجلس قليلًا في الهواء الطلق بصحبة هاتفها وما يحمله من أغانٍ.

كانت تنوي الاتصال "بإسماعيل" فقط لتطمئن علي أحواله ليس أكثر، فهي تشعر بتأنيب الضمير بأنها لم تخبره برحلتها ، ولكن لماذا تشعر بذلك العذاب؟

جلست على أحد المقاعد في الحديقة المطله على حمامات السباحة وقامت بتشيغل بعضاً الموسيقى وتركت العنان لخيلاها..

*****

كان العروسين في أسعد لحظاتهم ، كانا يستمتعان بصحبة "أسماء" التي كانت تلتقط لهما الصورعلى الشاطئ تحت الأضواء الاصطناعية ، وكانت

هي تستمتع بعملها.. تخبرهم بالأوضاع التي يفعلانها كي تلتقط لهما الصور المناسبة.

انتهت من التصوير وشكرها العروسان على ذلك الإبداع بعد أن قامت "أسماء" بعرض الصور الملتقطة أمامهم من خلال شاشة الكاميرا الخاصة بها ، واستأذناها حتى يتمشيا قليلًا تحت أضواء القمر، فوافقت وقامت بالذهاب إلى "البار" الخاص بالفندق لتشتري إحدى زجاجات الشامبانيا ، ولتستمتع هي أيضًا بجلستها المسائية الخاصة تحت أضواء النجوم وبين صوت البحر الهادىء أمامها ، عندما عادت مرةأخرى إلى الشاطىء كانت وضعت ما اشترته في حقيبتها الصغيرة ؛ لتسمع صوتًا أنثويًا يُنادي عليها من إحدى الطاولات:

– لو سمحتي يافندم حضرتك معانا في رحلة مكتب الأمل صح ؟

فقالت "أسماء" بصوت عالٍ حتى تسمعه الفتاة من تلك المسافة:

– أيوه.

– طيب ممكن ثواني بعد إذنك.

ذهبت أسماء ملبية الطلب لتجد أن الفتاة كانت تجلس بصحبة شابين وفتاةً أخرى ، كان ذلك الشاب هو "مروان" مشرف الرحلة ، والفتاة التي كانت تناديها هي "أروى"، والأخرى "حنين" طاقم إشراف الرحلة تعرفهم بالطبع ، أما الشخص الآخر فكان غريبًا عنها ، فقامت أولًا بإلقاء التحية عليهم وقالت مخاطبة "لأروى":

– أيوه يا أروى تحت أمرك.

فقالت بإستئذان:

- ممكن لو سمحتي بس تصورينا ؟ وابقى آخد منك الصوره ديه في وقت تاني؟

فقال "مروان" موافقًا وملحًا على طلب "أروى" من "أسماء":

- آه فكره كويسه جدًا ، هي صوره واحده بس مش هنتقل عليكي ؛ لأن واضح إن الكاميرا اللي مع حضرتك بروفيشنال فالصوره هتبقى أحلى طبعًا من صور التليفون في الإضاءة ديه.

فقالت "أسماء" موافقة ومرحبةً بالفكرة:

- آه طبعًا تحت أمركم.

فقام "مروان" بتقديم "إسماعيل "لأسماء":

- ده إسماعيل زميلنا في الرحلة بالمناسبه.

قالت مخاطبة "لإسماعيل":

- أهلًا وسهلًا.

ثم قامت "أسماء" باتخاذ وضعية التقاط الصورة بعد أن وقفوا صفًا واحدًا بجانب بعضهم البعض.

كانت "أسماء" تنظر إلى إسماعيل الذي كان يحمل علامات غريبة على وجهه لا تفهمها، ولكنها متعودة على تلك النظرات فلم تلقِ لها بالًا، فقامت "حنين" بشُكر "أسماء" ، فطلبت منها "أروى" الانضمام إليهم في جلستهم إذا كانت لا تمانع ، رفضت "أسماء" أولًاحتى قام الجميع بحسها على الموافقة ، وافقت أخيرًا وجلستّ معهُم..مازالت نفس الملامح الغريبة تظهر على إسماعيل.

كان في ذلك الوقت في عالم آخر من الشرود ؛ تلك العيون ، تلك الملامح فهو يعرفها جيدًا ، هي قريبه جدًا من ملامح "أسماء" التي يرسمها داخل عقله حتى إن لو لم تكن الملامح غير متطابقه قليلًا فبالفعل هو لم يخطىء عينيها ؛ فهي سبب عشقه وهي أساس تكوين تلك الملامح داخل عقله.

أما "أروى" فكانت تحاول بكل الطرق أن تخرج من شرودها الطويل وتحاول المرح قليلًا حتى لا تعكر مزاج "مروان" ؛ فهو لا يحتاج ان ترهقه فوق إرهاقه.

أما "حنين" فكانت تتكلم مع "أسماء":

– معلش يا أسماء رحمنا عليكي بس ياستي دول ما صدقوا شافوا بعض ، يعني عندك مروان و أروى يعرفوا بعض من لما كانوا لسه عيال ، وإسماعيل كان صاحبهم من زمان، وماشفوش بعض من حوالى ١٨ سنه شافوا بعض هنا بالصدفه وعرفوا بعض.

بدأت ملامح "أسماء" في التغيير الملحوظ حتى لاحظ الجميع تلك التغيرات ، وكان أولهم "إسماعيل"،فقالت "حنين"مسترسله فى الحديث:

– قالوا يتصوروا عشان يسجلوا لحظه فرحتهم دلوقتي.

كانت "أسماء" تراجع ذكرياتها .. منمستحيل أن يكون هو "إسماعيل".. "حبيبها الأبدي"؟!

فقالت "أسماء" متسائلة وبصورة مباشرة:

– كنتوا في مدرسة النصر ؟

نهض "إسماعيل" من مكانه بحركة توقعها كلاً من "مروان" و"أروى" و"أسماء" نفسها ، قائلًا بصوتٍ عالٍ لا يخلو من الدهشة:

- أسماء إبراهيم ؟

لتقع الكاميرا التي كانت تحملها "أسماء" من يدها على الرمال محاولةً منها لأخفاء دهشتها..

- إسماعيل داوود ؟

*****

كان يجلس على أحد المقاعد على الشاطىء يستمتع بأحد العروض البدوية التي يقدمها الفندق للزائرين الجدد.

وبعد أن انتهى العرض قرر أن يبحث عن مشرفي الرحلة ليعرف منهم موعد التجمع غدًا ؛ قد قرر الذهاب خارج الفندق ليسهر سهرته في أحد البارات الموجودة في المدينة..

كان يبحث عنهم بين أفراد الرحلة حتى لمح "مروان" تحت الأضواء الخفيفة ، فقرر أن يذهب إليه ، وجده جالساً وحوله مجموعة من الأشخاص ، فألقى عليهم التحية بعد أن نظر إليهم جميعًا ، فوجد البعض منهم مبتهجًا ، والبعض الآخر واجمًا وكأنه يحلم حُلمًا ما ، أعاد بصره مره أخرى ليجد "أروى" تلك الفتاة التي لفتت نظره في الحافلة ، فقرر أن يتجاهلها إلى حين ؛ أما حنين فكانت تنظر إليه نظرة غريبة لا يعلم ما ما تخفيه تلك النظرات المتفحصه ، فقال مخاطبًا "مروان" الذي كان في طور سعادته وبهجته:

- أنا آسف يا مروان ، بس حبيت أعرف من حضرتك الوقت اللي هنتجمع فيه بكره عشان أنا خارج أسهر بره الفندق شويه ومش عايز حاجه تفوتني.

- لا ولا يهمك ، بكره هنتجمع إن شاء الله الساعه ٥ الفجر عشان هنطلع سفاري ، بس ممكن اتشرف باسمك ؟

-أنا خا..

فقاطعته "حنين" بسرعة بطريقة غريبة:

- "خالد" ، اسمه خالد يا مروان.

فنظر الجميع إليها بدهشه ، فحاولت أن تخرج من هذا الموقف الحرج قائلة:

- شوفت بقى يامروان موظفتك شاطره إزاى وعارفه أسامي الناس اللي في الكشوفات ؟

لم يكن أبلهًا حتى يمرعليه ما حدث مرور الكرا م؛ فبطريقتها تلك ليست طريقة من تخبر رب عملها بأنها مجتهدة في العمل إذًا ليترك "أروى" الآن جانبًا وتكون حنين هي موضع تسليته فى هذه الرحله..

فقال بإستهزاء بقدرات الموظفة المجتهدة:

- الله ينور يا حنين ممكن بقى تقولى اسمي كامل عشان تثبتي إنك شاطره فعلًا؟

شعرت بالمأزق الذي وضعها خالد فيه فحاولت أن تخرج من كل هذا بطريقة سريعة ، فقالت بارتباك:

- خالد حسن علي.

فقال "مروان" مسرعًا:

- خالد حسن علي ، لا مهي مش بعيده ، صح ولا إيه ياعم إسماعيل؟

فقال "إسماعيل" وكأنه أفاق توًا من شروده..

كان "خالد" ينظر إليهم بأستفهام عما يحدث ، أما "حنين" فكانت فهمت جزءً بسيطًا وقررت الصمت لعل ما تفكر فيه صحيحًا.

– آه والله يامروان ، مش بعيده يابني.

– إيه ياجماعه في حاجه ولا إيه؟!!

فقال "مروان":

– ممكن بس يا أُستاذ خالد لو حضرتك فاكر كده تقولي اسم المدرسه الابتدائي اللي كنت فيها زمان؟

فاستغرب "خالد" من سؤال "مروان" قائلًا:

– إشمعنى؟ هو دلوقتي شغل السياحه بياخدوا أسامي الناس مع ذكر اسم مدرستهم القديمه ؟

فقال "إسماعيل" موضحًا:

– لا أبدًا مش كده بس عايزين نتأكد من حاجه.

كانت "أسماء تراقب الحديث صامتة لا تتفوه بحرفٍ. ليتكلم "خالد" ويقول بطريقة تعبر عن الاستهزاء بهذا الحوار العقيم بالنسبة إليه ؛ فهو يكره أن يسخر منه أحدٍ ، ليقول:

– مدرسة النصر، في حاجه تاني تحبوا تعرفوها ؟

لينفجر الجميع حيث بدأت ملامح "خالد" تتغير، وبدأ وكأنه سيقوم بفعلٍ طائش يجعلهم يندمون على سخريتهم منه ، قائلاً بغضب:

– ياجدعان اللي بتعملوه ده لعب عيال.!

فقال "إسماعيل" مُلطفًا لمجرى الحديث:

– يابني استنى متاخدش الموضوع قفش بس ، مش أنت أخوك اسمه "ياسين".

عندما قال تلك الكلمة تغيرت ملامح "خالد" تمامًا ، كانت صورة "ياسين" في ذلك الوقت تُعرض أمام "خالد" ، وقال ردًا على "إسماعيل":

- وأنت اللى زيك يعرفوا أخويا منين؟

- أبدًا ياسيدي ، أصل إحنا نعرف ياسين ، وعارفينك ، وأنت عارفنا كويس كمان.

- ده إزاي بقى؟!أنا أول مره أشوفكم.

فقال "مروان" موضحًا:

- لا أنت شوفتنا قبل كده وعارفنا كويس يا خالد ، ده أنت كنت أخونا الكبير ياجدع.

- مُمكن توضح؟

- أنا ياسيدي "مروان أحمد" "ياخالد ياحسن" ، صاحبك في المدرسه القديمه وكنا كلنا أنا و أروى وإسماعيل وأسماء و ياسين في فصل واحد.

- نعم؟!! ياجدعان هو أنا بحلم ولا أنتوا بتهزروا.

فقالت "أسماء" ولأول مرة تشارك في الحديث:

- نهزر مين يابنى أنت ، وفي حد يهزر معاك وأنت بتقول أول مره تشوفه و يكون عارف عنك كل ده؟

فقال "خالد" مخاطبًا "أسماء" في حين كانت "حنين" لا تستوعب ما يحدث أمامها، مر عليها ساعة وهي تواجه أكبر دهشة تقابلها في حياتها.

- يابنتي لا ..أنتم بتهرزوا صح.!!

وبدأت مشاعر الفرح تظهر على وجهه ليمسك "أسماء" من يدها وقال:

– أنا مش مصدق ، مش مصدق والله ، أخيرًا شوفتكم ، والله العظيم وحشتوني جدًا.

بدأ"مروان" ثم "إسماعيل" بضم خالد مع قول عبارات الشوق والحنين إلى ذكرياتهم..

– ياجماعه ، فاكرين عربيه عمو داوود لما كانت بتعطل وبنزوقها بنقول إيه؟

فرد الجميع بصوت عالٍ ما عدا حنين التي كانت لا تفهم شيئًا:

– "اااادي زووووبه زقاااااه"

ليدخل الجميع في نوبة من الضحك وضحكت "حنين" على الموقف وما قالته "أسماء"، ولكنها كانت مبتهجة بما يحدث ، ولكن هذا كان لا يجعلها تغفل عن خالد.!

*****

كان الجميع سُعداء بلا إستثناء ، برغم كل ما يحمله كل واحد فيهم داخله من متاعب ومشاكل ، فحاولوا جميعًا أن يبتعدوا ولو قليلًا عن متاعبهم..جمعهم القدر مرة أخرى بعد غيابٍ طال ثمانية عشر عامًا منذ فراقهم لبعضهم البعض ، كانوا منذ الصغر ملازمين لبعضهم البعض لا يفعلون شيئًا إلا وإذا كان الجميع موجودًا ، كانت ذكرياتهم وضحكاتهم تملأ الأجواء من حولهم ، لتقطع أروى سيل نوبات الضحك بسؤالٍ موجهًا إلى "خالد "قائلةٍ:

– ياواد يا خالد قولي صحيح هو الواد ياسين فين ؟ مجاش معاك ؟

كان هذا السؤال مثل الصاعقة التي حلت عليه ، تغيرت ملامحه لدرجة جعلت الجميع ينظرون إليه بتعجب ، حتى قال "خالد" بحزنٍ واضح..

– الله يرحمه يا أروى.

مرت عليهم دقيقة من الصمت وكأنها دهرً ، كان "مروان" لا يقوى على أن يقول شيئًا أو يعبر عن أي شيء تجاه ما سمعه منذ قليل ، أما "أروى" فكانت تنظر إلى خالد حتى نهضت من مكانها وذهبت بجوار "خالد" ممسكةً بيده المتدلية بجانبهِ ، أما "إسماعيل" و"أسماء" فكانا لا ينطقان بحرفٍ واحد ، و"حنين" حتى لو أنها لا تعرف من هو "ياسين" من الأساس فكانت تشاركهُم حزنهم.

كان الجميع صامتًا صمت القبور، ترحموا جميعًا على "ياسين" ليقطع كل هذا الصمت صوت "خالد" مرة أخرى:

– اتوفى من ١٠ سنين في حادثه ، حادثة عربيه مات فيها هو وأبويا وأمي ، التلاته اتوفوا، ومن ساعتها وأنا عايش لوحدي بين ذكرياتي معاهم ، متعرفوش بجد أنا مبسوط قد إيه إني شوفتكم مره تانيه ، حاسس بوجوده معانا ، زي ما كان دايمًا معانا ، كنت بحس إن هو الحاجه الوحيده اللي هقدر اتسند عليها يوم ما احتاجه أو تبقى الدنيا جايه عليا ، المهم أنتوا طمنوني عليكوا ، أو تعالوا نعمل أي حاجه نرجع بيها أيام زمان.

كانوا يبحثون عما يجعلهم يتذكرون إحدى جلساتهم القديمة أيام الطفولة ..رحم الله "ياسين" فكان نعم الأخ بالنسبة إليهم جميعًا وليس لخالد فقط..

فقال "مروان" حتى يغير مجرى الحديث ولكن كانت نبرة الحزن ما زالت مسيطرةً عليه:

– خلاص ياجماعه أنا بقترح نلعب أي لعبه من اللي كنا بنلعبها زمان ، اقترحوا وأنا معاكم.

فقال "إسماعيل" موافقًا على كلام "مروان":

- أنا معاك يامروان ، إيه رأيكم نلعب اللعبه اللي ديمًا كان بيخلينا ياسين نلعبها؟

فرد"خالد"مُشجعًا:

- فكره كويسه يا إسماعيل ، مين معاه "إزازه" فاضيه؟

فقالت "حنين" برغم من أنها لا تفهم ما يشيرون إليه ، ما علاقة الزجاجة الفارغة بتذكريهم بما كانوا يفعلونه في صغرهم؟

- أنا معايا يا خالد.

ثم أعطت الزجاجه "لخالد"، وقالت:

- أنا آسفه بس مش عارفه أنتوا هتعملوا إيه ممكن بس حد يفهمني؟

كانت "أروى" في ذلك الوقت تشعر بشعور غريب؛ فهي تعرف قواعد تلك اللعبة الصراحة التامة، هل هذا ما كانت تنتظره ؟

أما "إسماعيل" فكان مبتهجًا ؛ فهو سيعرف أخيرًا كل شيء عن "أسماء" من خلال تلك اللعبة ، أما "مروان" فكان سعيدًا بتجمع الأصدقاء مرةً أخرى ، وكانت "أسماء" لا تبالي بشيء سوى حبيبها "إسماعيل" ولكنها وافقت في الأخير ، ثم قال "خالد" معقباً على "حنين":

- أبدًا ياستي ديه لعبه كنا بنلعبها زمان لما كنا بنبقى متخانقين مع بعض ، وكان ديمًا ياسين الله يرحمه يقترح نلعبها عشان كل واحد يقول اللي في قلبه بصراحة وكانت فعلًا بتتحل المشكله..

- جميله اللعبه ديه بس مع الأسف صعب إنى ألعبها معاكم ، أنا هراقبكم وأشوفكم بتقولوا إيه.

فقال الجميع معترضًا على ما قالته "حنين" وكان رد "إسماعيل" الأخير بينهم:

- ليه ياحنين؟ عادي يابنتي إحنا بنتسلى يعني مش لازم تكوني تعرفينا من واحنا عيال يعني.

تكره "حنين" أن يعرف أي شخصٍ عنها أي شيء يخصه ، فرفضت رفضًا قاطعًا على هذا الموضوع فتركها الجميع على راحتها.

ذهبوا جميعًا إلى مكان أقرب إلى الشاطىء ثم جلسوا جميعًا على الرمال ، كانت "أروى" تجلس بجانب "مروان"، وحنين اتخذت مجلسًا بجانب "أروى"، ويليها "إسماعيل" ثم "خالد"، وكانت "أسماء" تقع في الوسط بين "مروان" و"خالد"، وكان هناك مسافات فاصلة بين الجميع ليتيحوا مجالًا للعب وأن تطولهم جميعًا الأسئلة ولا تنحصر بين أشخاصٍ معينة.

اقترح الجميع على حنين بأن تكون هي المسئولة عن دوران الزجاجة في كل دور، وجلست في المنتصف بينهم ، جميعهم يعرفون القواعد ؛ الصراحة التامة ، ولا يجب الانقطاع عن إجابه سؤال موجهًا إلى أي أحد.

من ضمن القواعد أن يكون سؤال واحد ومسموح النقاش ، ولكن بموافقة الطرف الثاني على هذا النقاش ، استعد الجميع وقام خالد بإشعال سيجارته ، وبحركة مفاجئة تفاجأ لها الجميع سحبت أسماء بدون أن تنظر إلى أحدٍ وقامت هي الأخرى بسحب سيجارتها ، وقامت بإشعالها دون أن يعقب عليها ..

ولتبدأ اللعبة.

****

الفصل الاخير

قامت "حنين" بوضع الزجاجة في منتصف الدائرة التي صنعوها.. وقامت ببدء الدور لتبدأ الزجاجة في الدوران ، لترسو أخيرًا بأن يكون طرفها الأمامي موجهًا إلى "مروان" والطرف الآخر إلى "إسماعيل" ، وبهذا يجب على "مروان"ان يبدأ بسؤال "إسماعيل":

– قولى ياواد يا إسماعيل ، عم داوود عامل إيه؟ وزوبه إيه أخبارها؟

فضحك الجميع وضحك "إسماعيل" وقال:

– كويسين يا مروان الله ، لسه ياعم زوبه عايشه أهي وأبويا مش عايز يغيرها ، بيقولي ديه ياما شالتك أنت وصحابك وأنتوا صغيرين ، وغير كده أنا مرتاح وأنا جواها أكنها بتحتويني من وأنا لسه عيل.

فقال "مروان":

– ربنا يخليهالكم ياعم وتفرحوا بيها قريب.

فضحك الجميع مرةأخرى واستكفى"مروان" بهذا ، وقامت "حنين" بإعاده الدوره مرةً أخرى ليكون الدورعلى "أروى" لتسأل "خالد":

– قولي ياخالد بقى أنت إيه الأخبار معاك في حياتك أو بتعمل إيه عمومًا.

كانت "حنين" تراقب "خالد" بدقه ؛ فهو أولى اهتماماتها في تلك الجلسة..

– أبدًا والله يا أروى ، من بعد ما بدأت أعيش لوحدي وأنا عادى ، يومي روتيني جدًا بَروح الجامعة وبرجع منها أذاكر وخلاص ، إنتي عارفه إني مش بحب المذاكره أصلًا ، بس أهو كنت بضيع وقتي لحد ما اتخرجت.

فتنهد متابعاً:

– وبعد كده اتعرفت على زميله ليا في الجامعه واتقدمتلها وأهلها قالولي لما أخلص دراستي الموضوع هيبقى أسهل ، واننا لسه صغيرين وممكن تكون أفكار طايشه وخلاص ، بس هنقول إيه بقى.. هم كانوا شايفنا طايشين ، وفي الآخر أصلًا الموضوع ماتمش ، واتخرجت من الجامعه وآديني عايش زي ما أنا من ساعتها مش بعمل حاجه مهمه.

اكتفت "أروى" بذلك هي الأخرى وقامت "حنين" باستكمال الدور الذي تلعبه لتعيد الدوره مرةأخرى ، ليكون الاختيار على "إسماعيل" و"أسماء" ، كان "إسماعيل" منتظرًا بلهفه أن يأتي دوره ويكون دوره أن يقوم بسؤال "أسماء"، فهناك الكثير من الأسئلة التي يود أن يطرحها عليها ، فقال "إسماعيل" ناظرًا إلى "أسماء" التي كانت تتلذذ بتدخين سيجارتها، وكانت تبتسم إبتسامه لا يفهم أحدً معناها..

– أسماء قوليلي، إنتي اتجوزتي؟

–لا.

فشعر "إسماعيل" بارتياحٍ داخله حتى يأتي صوت "أسماء" مرةأخرى:

– أو تقدر تقول أه.

فقال "إسماعيل" متعجبًا:

– إزاي مش فاهم.!

– يعني أنا اتجوزت ودلوقتي أنا مطلقه، بس مش بعتبر نفسي اتجوزت يعني.

– مُمكن توضحي ؟

– يعني أنا اتجوزت من وأنا عندي ١٧ سنة ، أهلي جوزوني غصب عني ، كان أكبر مني بعشرين سنه ، قالولي إن هو ده اللي هيحقق اللي نفسي فيه ،

أنت فاهم شغل الأفلام العربي القديمه ديه بقى ، وأنا رفضت طبعًا ، لحد ما البهوات إخواتي الصبيان التلاته نفسهم كانوا برضوا واقفين ضدي ، تخيل لما عيلتك كلها تجبرك على حاجه أنت مش عايزها أصلًا ، بس واتجوزت عيشنا مع بعض حوالي سنتين وفي الآخر طلقني.

- طلقك ليه ؟

- طلقني ليه؟ لأني كنت أول سنه خلاص رضّيت بالأمر الواقع ، لحد ما فعلًا تعبت وبدأت أخنقه وهو بدأ يكرهني لحد ما طلقنى..

لم يُعقب "إسماعيل" وأخبر "حنين" بأنه اكتفى بذلك..

فدخل "إسماعيل" في نوبه من الحزن الواضح ، أما "أسماء" فكانت ما زالت تنظر إلى "إسماعيل" وتبتسم ابتسامة استفزازية ، أما "أروى" كانت تضع تركيزها في اللعب ، أو كانت توهم نفسها بذلك ، وكانت "حنين" تراقب "خالد" على فترات حتى لاحظت أن "خالد" بدأ بالنظر إليها نظرات جامده لا تعرف معناها ..فقامت "حنين" بإعادة الدور لياتي الدور على "مروان" و"خالد" ، ليبدأ "مروان" سؤاله :

- قولي ياخالد إيه السبب اللي خلاك متكملش موضوع ارتباطك ده ، أو إنك حتى بعد ما اترفضت ليه مفضلتش مصمم عليها؟

رمي سيجارته ثم نظر إلى "مروان".

- بص ياسيدى ، خالد اللي أنت تعرفه زمان اللي كنت بتشوفه ديمًا واقف مع أخوه يقولوا مينفعش اللي بتعمله ، ده غلط أو ده صح وكان على طول بينصحه ، ده خلاص مبقاش موجود.. صدقنى أنا دلوقتي محتاج اللي ينصحني بجد برغم إنى عارف إني ماشي في سكه غلط ، بس بقيت بتمنى

وجود حد جمبي ، بتيجي عليا أوقات بتمنى فيها إن ياسين كان يفضل موجود عشان هو اللي ينصحني ويقولي اعمل إيه ، مبقاش عندي حد أقعد معاه أو اتكلم معاه ، وكانت هي السبب في كل ده. عارف لما تبقى لوحدك بالمعنى الحرفي ، ولا أب ولا أم وحتى أخوك الوحيد مبقاش موجود هو كمان..كان اعتمادك الكلي على شخص معين وفى الآخر يطلع بيخدعك؟ صدقني ديه لوحدها كبيره وتخلي الواحد يتغير كتير أوي في تفكيره.

تنهد "خالد" بضّيق ثم تابع:

- كنت بحبها حب محدش يتخيله في الدنيا ، كنت بعملها كل اللي تطلبه مني ، بدأت أبعد عن صحابي في الجامعه وبقيت بعشق وجودي معاها ووجودها جمبي ، مبقتش شايف حد غيرها فعلًا في حياتي ومبقتش عايز غيرها.

حتى لما بعدت عني كنت أنا خلاص تعبت ، ضيعت سنين من عمري على الفاضي حتى لو كنت لسه صغير في السن ، بقيت بتمنى أشوفها تاني عشان أردلها اللي عملته فيا ، كنت نضيف أوى من جوايا يامروان ، وبسببها بقيت قذر بعمل حاجات مكنتش متخيل إنى ممكن أصلًا أفكر فيها ، بس بعمل الحاجه دي عشان سبب واحد ؛ هو إنى كل ما اعمل حاجه غلط تيجي هي في بالي بأنها السبب في كل ده وألعنها وألعن اليوم اللي عرفتها فيه أصلًا.

توقف"خالد" ثم أخبر "مروان" "حنين" بأنه اكتفى بتلك الإجابه.

كان الجميع ينظرون إلى "خالد" بعيون الشفقه ؛ فهم لا يعرفون شيئًا مما أصابه ولكن ما قاله أثر في نفوسهم ، كانت "حنين" تنظر إلى "خالد" نظرة عطف على ما قاله وعلى حاله ، أما "أروى" بدأ مزاجها يتعكر وبدأت روح

المرح تتلاشى شيئًا فشيئًا ، لتقوم"حنين" بإعادة الدور ليكون من نصيب "إسماعيل" و"أروى" ،فقام "إسماعيل" بسؤال "أروى" قائلًا:

– قوليلي يا أروى ، إيه أكتر حاجه مضيقاكي في الواد مروان ، ولو مضايقك في حاجه قولي واحنا نجيبلك حقك منه.

إبتسمت "أروى" إبتسامة خفيفة وقالت ردًا على السؤال:

– مروان يا سيدي مفهوش حاجه مزعلاني ومروان مش مزعلني ولا حاجه بالعكس ، مروان كل حاجه بالنسبالي بحمد ربنا فعلًا إننا لحد دلوقتي موجودين مع بعض وبدعيله اكتر واكتر عشان يفضل جمبي.

فقام "إسماعيل" بتوجيه الكلام إلى "حنين" ليخبرها بأنه اكتفى بتلك الأجابه ، لتقوم حنين بإعادة دوران الزجاجة ليقع الاختيارعلى "أروى" و"أسماء"، فقامت "أروى" بسؤال "أسماء" ليأتي صادمًا للجميع:

– أسماء إنتي لسه بتحبى إسماعيل؟

ابتسمت "أسماء" ثم قامت بفتح حقيبتها الصغيرة لتكون المفاجأة الثانية ، قامت "أسماء" بسحب زجاجة الشامبانيا و بدون أن تنظر إلى أحدٍ قامت بفتحها وتجرعت جزءًا صغيرًا منها..ثم نظرت إلى الجميع وقالت:

– آه طبعًا مستغربين ؟ لا محدش يستغرب كل واحد فيكم عايز يعمل الغلط وجواه الغلط بس مش بيعملوا ، أنا بقى عملتوا ومش شيفاه غلط.

ثم وجهت نظرها إلى "أروى" في حين كان "إسماعيل" يتمنى أن ينتهي هذا الكابوس ؛ فيوميًا كان يحلم "بأسماء"وهي في أبهى صورها ، فما هذه الصورة الحقيرة التي أمامه.. نعم هذا كابوس وسيفيق منه.

قالت "أسماء" مجيبة على سؤال "أروى":

– لا ياستي مش بحبه ، واحبه ليه؟ آه كنا زمايل مع بعض وإحنا صغيرين وكنا فعلًا بنقول إننا بنحب بعض وأنا كنت فعلًا بحبه بس دلوقتي الزمن اتغير، أنا مشوفتوش من ١٨ سنه، وحتى لو إسماعيل لسه في بالي فمستحيل أفكر فيه أصلًا ، أفكر فيه إزاى وأنا أول ما شوفته معرفتوش غير لما قولتوا إن ده إسماعيل؟

وبدأت تضحك ضحكًا خفيفاً ،مع صدمة "أروى" من إجابتها ، وقالت "أروى" مرة أخرى:

– بس إنتي كلامك ده غلط ، إزاي أنا ومروان لحد دلوقتي بنحب بعض؟

– أروى افهمي كلامي كويس بلاش كلام وخلاص ، إنتي ومروان القدر كان في صفكم وجمعكم ببعض حتى لما كبرتوا وأنتوا مع بعض أصلًا من زمان ومفيش حاجه فرقت بينكم ، فبالتالي إيه السبب اللي يخليكم متحبوش بعض؟

لكن بالنسبالي أو بالنسبة لإسماعيل فالموضوع منتهي أصلًا من آخر وقت شوفنا بعض فيه وكل واحد راح يسكن في منطقه تانيه بعيد عن التاني ، كنتي عيزاني أقول لأهلي إيه وأنا لسه عيله صغيره؟ أقولهم لا والنبي بلاش نمشي من هنا عشان بحب إسماعيل؟ ده كلام طفولي يا أروى اللي بتقوليه ده.. وإحنا كبرنا خلاص وبقى في حياتنا حاجات تانيه نهتم بيها بعيدًا عن الحب بتاع العيال اللي حبيته أنا وإسماعيل لبعض.

وتجرعت أسماء جرعه أخرى من زجاجتها وتبتسم ابتسامة باردة "لأروى"

جاء كلامها على أروى كالصاعقه ؛ فهو شبيه جدًا بنفس الكلام الذي قاله ذلك المجهول لها أتتعلقين بشخص بسبب حب طفولي؟

قامت "حنين" بعملها مرةً أخرى تحت مراقبة الجميع وفي انتظار ما سيأتي ، لياتي الدور على "خالد" و"إسماعيل" ، فقال "خالد":

- ها يا إسماعيل خطبت أو اتجوزت؟

- لا يا خالد.

- ليه يابني؟ أنت بقيت شاب زي العسل ، والله ماشاء الله عليك يعني.

- ظروف ياخالد.

لاحظ الجميع تغير نبرات "إسماعيل" ولكن "خالد" كان يأخذ مجرى آخر، كان يريد أن يطغى على مشاعر "إسماعيل" بعد ما قالته "أسماء".

- ظروف إيه؟ عايز أعرف.

- عشان لسه بحب أسماء.

صمت تام لا يكسر هذا الصمت إلا صوت أمواج البحر الخفيفه ، لتأتي ضحكه مدوية تشق هذا الفراغ ، كانت ضحكة "أسماء"..

- أنت عبيط يا بني؟ أنت بقالك كام سنه مشوفتنيش؟ ١٨ سنه ؟ وكل ده بتحبني ؟ هو أنت أصلًا تعرف شكلي لما شوفتني؟ إيه لسه برضه كنت بتتخيلني البت الصغيره اللي كانت بتعمل ضفيرة طويله وكانت بتساعدك في حل الواجب ؟ ضيعت عمرك يا بيضه ؟ ضيعت عمرك عشان وهم ؟ أنتي كميله أنتي حياتك راحت أونطه ؟

كانت تضحك أو كأنها تسخر من "إسماعيل" ، في حين كان "خالد" مستمتعًا بما يجري من حوله ولا يعرف السبب.!

ثم طلب بإيقاف الحوار ليخبر حنين بأنه اكتفى ، ليأتي الدور على "خالد" و"أروى"..

– أنا شايفك يا أروى متغيره ، أو في حاجه جواكي مخبياها ، فأنا عايز اعرف إيه اللي إنتي مخبياه.

فقالت "أروى" بتلعثم بسيط من أثر هذا السؤال:

– اا..ابدًا ياخالد هو تعب بس من الشغل لكن مافيش حاجه تانيه.

– كلنا بنتعب من الشغل ، بس اللي ظاهر عليكي ده مش تعب شغل ده تعب حاجه تانيه.. دلوقتي اللي أنا بطلبه منك إنك تقولي قدامنا وقدام مروان إيه اللي إنتي مخبياه.

فقالت "أروى" مُتفاجئة:

– إيه يا خالد اللي بتقوله ده مافيش حاجه طبعًا.

موجهًا الحديث إلى "مروان" متجاهلًا ما قالته "أروى":

– أنت كمان يامروان عايز تعرف صح ؟ باين عليك صدقني.

ثم قام بحركةً مفاجئة وقام بأخذ زجاجة الشامبانيا من "أسماء" ليتجرع جرعة كبيرة..

فقالت "أسماء" ضاحكة:

– ياولاااا ياجاااامد ، عبيلووو واديلووو.

ثم عدّل "خالد" من نظرته إلى "أروى" قائلًا:

– وأنا كمان يا أروى عايز أعرف ، وإنتي عارفه القواعد.

ليحل الصمت مرةً أخرى على الجميع وفي إرتقاب شديد من "مروان" قالت "أروى":

– فكرت إني أخونه.

– برافو عليكي ، ياريت بعد كدا لما اسألك سؤال تجاوبيني عليه على طول لأني مش بحب إني أتحايل على حد.

كانت "أروى" مصدومة ، أولًا: صدمتها من كلام "خالد" الذي تفوه به للتوّ ، فهذه الجمل سمِعتها من قبل وتعرفها جيدًا ، أما الصدمة الأخرى كانت تجاه "مروان" ماذا سيفعل الآن؟!

كان "مروان" ينظر إلى الرمال من تحته ولا يتفوه بحرفٍ واحد ، لتقوم "حنين" بإعاده الدور مع وجود الكثير داخلها تجاه "خالد" ؛ فهي شعرت بالشفقة تجاههُ منذ قليل والآن تشعر بأنه شيطان مجسد أمامها ،أتى هذا الدور على "أسماء" و"مروان"، فقالت "أسماء" بعد أن اكتفت من نوبة الضحك:

– قولي يامروان إيه رأيك في اللي سمعته من أروى ، أو شكلك إيه قدام نفسك بعد ما عملت كل حاجه ليها وفى الآخر أهي بتفكر إنها تخونك.

فقالت مشيرة إلى "أروى":

– أروى حبيبتي متبصليش كده ، أنا واحده سكرانه دلوقتي بس صدقيني احمدي ربنا إنى مش في كامل وعيي ، صدقيني كنت هقول كلام اكتر من كده ، أنا بشرب عشان أعرف اتحكم في تصرفاتي ، لكن لو في وعيي كله صدقيني ببقى حاجه مستفزه اكتر من اللي إنتي شيفاه ده..!

ثم عادت بحديثها إلى"مروان":

– رد يامروان.

– ولا حاجه برضه بحبها ، عادى كلنا جوانا أفكار و بتجيلنا نزوات غبيه بس كل اللي مضايقني هي ليه معترفتش ، فلما سألت نفسي السؤال ده

دلوقتي اتأكدت أنها فعلًا كانت نزوه منها وخلاص لأنها خبت عليا عشان ندمانه مش اكتر ومش عايزه تزعلني.

لتأتي ضحكة"أسماء" مدويه فى الفراغ كالعادة:

– أنت بتوهم نفسك بالكلام ده ؟ طيب ، دلوقتي لو زي ما أنت مفكر إنها مقالتش حاجه ليك عشان ندمانه تقدر تقولي ليه مفكرتش بإتجاه تاني ..تقول مثلا إنها مخبيه عليك لحد دلوقتي عشان هي أصلًا بتخونك؟

– لأني بحبها.

واكتفت "أسماء" ،أتى الدور على "أسماء" و"إسماعيل" ، فقالت "أسماء":

– قولي يا إسماعيل باشا ، إيه رأيك فيا؟ أو إيه رأيك في اللي قولته عمومًا؟

– قولتي إيه؟

– "هههههه" قولت إيه؟ يابني هو أنا اللي شربت ولا أنت..! ولا أنت لسه عايش جوا وهمك؟ لا فوق كده واتكلم معايا ، أنا خلقي ضيق الله يكرمك.

فقال "إسماعيل" بإنكسار:

– عادي يا أسماء هقول إيه أو هفكر في إيه؟ صدقيني مش بفكر في حاجه غير إني مش عايز أشوفك تاني ، واليوم اللي كنت بتمنى أرجع أشوفك فيه بندم إنى عيشته.

– متشوفش وحش ياحبيبى، ده أنا بحبك يا إسماعيل.

قالتها "أسماء" باستهزاء ليجيبها "إسماعيل":

- وأنا كمان بحبك يا أسماء ، بس بحب أسماء اللي في دماغي مش الحقيره اللي شايفها قدامي دلوقتي.

لتعتدل فى جلستها قائلةً بجديه واضحه:

- حقيره؟!!! إنت إزاي يابني تحكم عليا حكم زي ده وأنت متعرفش أنا بقيت كده إزاي أصلًا؟! إزاي تحكم عليا إني حقيره وأنت متعرفش كل يوم أسود عيشته وصلني للي أنا فيه ، بس إيه رأيك أزودلك الحقاره شويه؟

فأندهش الجميع من ما قالته "أسماء" للتو ، فكت غطاء شعرها تمامًا لينسدل على ظهرها ، ويظهر الطرف العلوي من عنقها ، كان "إسماعيل" غير مصدقً تماماً لما يحدث..

- طبعًا أنت بتسأل ليه عملت كده؟ أنا معرفش ليه عملت كده بس أنا مستعده إني أقلع كل هدومي دلوقتي وأمشي قدام الناس عادي!!!

فضحك "خالد" ضحكاً هيستيرياً..

- "هههههههه" يخربيت عقلك يا أسماء ، طب تصدقي إني هبقى مبسوط فعلًا لو عملتي كده؟ بس كنت أتمنى إنى أنا اللي أخليكي تعملي الحركه دي مش تعمليها من نفسك.

هنا كانت "أروى" تراجع كل كلمة قالها ذلك المجهول لها ، يشبههُ كثيرًا ، هل يمكن أن يكون هذا المجهول هو خالد نفسه ؟!! ستكون كارثة.

فقال "إسماعيل" مخاطبًا "حنين" بصوت ضعيف مرهق بأنه اكتفى ، لتقول "أسماء":

– متقلقش الأدوار اللي جايه كتير وهتعرف كل حاجه يا خواجه ، قولي صحيح أنت لسه بتترمي تحت عربية أبوك؟ آه آسفه مش دوري ، لما ييجي دوري فكرني أسألك السؤال ده عشان البتاع اللي شربته بينسيني بسرعة.

كانت "حنين" تشعر بالأسى تجاه "إسماعيل"، فقامت بتغيير الأدوار مرة أخرى.. وما زالت لا تعرف السبب الذى يحسهم على متابعة هذه اللعبه..

ليأتي الدور على "أروى" و "خالد" مرةً أخرى.

– قولي يا خالد إيه أكبر غلطه عملتها في حياتك؟

– أكبر غلطه ؟ أنا كل غلطاتي بالنسبالي كبيرة ، مافيش فرق بين غلط صغير وغلط كبير، اللي عايز يغلط هيغلط ، وكل واحد يقدر يتحكم في نفسه سواء هيعمل الغلط ولا لا.

كانت "أروى" تنظر إليه وكانت تخفي جميع شكوكها ، هذا هو كلامه ، هذه كلماته بنفس الطريقة..

إنتهى حديث "أروى" و"خالد" ليأتي الدور على "مروان" و"أسماء":

– إنتي شغاله إيه يا أسماء؟ وياترى بتحبي شغلك ده ولا لأ؟

– أنا يامروان شغاله في أستوديو تصوير، شغلانه كده اشتغلتها لما اتطلقت وبعدت عن أهلي.. آه مهو أنا سِبت أهلي كلهم وبقيت عايشه لوحدي بسبب اللي عملوه معايا أو اللي رموني فيه لوحدي ، فقررت إنى أكمل لوحدي... نرجع لموضوعنا .. طبعًا ماكنش عاجبني الشغل بس بدأت اتعود عليه لحد ما حبيته وبقيت معروفه جدًا في المجال ده ، حتى الرحله أنا معزومه عليها ، في اتنين متجوزين جُداد هم اللي اقترحوا عليا الموضوع ده عشان أكون معاهم في شهر العسل وياخدوا صور للذكرى، آل يعني هم

بشوية الصور ديه مش هتخلى في بينهم مشاكل ، حبيت الشغل لأني بقيت بعشق إنى أشوف الوشوش المزيفه.

عارف يعني إيه بشكل يومي وبصوره مستمره تقابل ناس تقف قدامك بتفرض على نفسها الضحكه عشان تتصور؟

كل واحد جواه هموم وجواه مشاكل ، صدقني بزعل جدًا لما بكون في جلسة تصوير مثلًا لاتنين متجوزين بيتصوروا عادي صور الفرح ، وبتضطر العروسه تضحك وتخبي زعلها.. ملامحها بتكون بتضحك ، بس من جواها مقهوره من العياط ، بتبقى مثلًا متجوزه غصب عنها ، متجوزه تصليح غلطه ، الكلام ده كُله..بتصعب عليا لأني بقيت بخاف أشوف حد في نفس اللي أنا بقيت فيه أو ممكن يوصله.

- ليه القسوه اللي بقت فيكي ديه يا أسماء؟!!

- صدقني مش قسوه ولا حاجه ، بس خلاص تجارب الحياه علمتني إني مبقاش عايشه غير لنفسي حتى لو كل واحد بيظهر إنه كويس ، كل واحد جواه جواه حاجه بشعه ممكن تطلع في أى وقت ، وأنا مابقتش مستنيه إنى أشوف الجزء الوحش من حد ، بقيت عايشه لوحدي ومكتفيه بنفسي ومش عايزه حاجه من الدنيا ، واللي يأكدلك كلامي يامروان إنك شايف أروى ملاك بس أديها اعترفت إنها عايزه تخونك.

ليصمت "مروان" في حين كانت "أروى" تمسك بهاتفها وقامت بإرسال رسالة إلى هذا عشوائيه لصديقها الذى لا تعرف عنه شيئاً..

- أنت خالد ؟

سمع "خالد" صوت رنين هاتفه لينبئه بوصول رسالة إلكترونية.

وكانت صاعقة بالنسبة إليه لا يمكن أن تكون ....! فهو كان يراقب "أروى" ويسجل كلامها داخل عقله ، حتى أحس بشك بسيط بأنها قريبة جدًا من تلك التي يحادثها ، فكانت الرسالة كصفعة أفاقته من سكره.. وقام بالرد على الرسالة:

- إنتي أروى؟

وقام بإرسالها ثم نظر إلى "أروى" التي كانت ممسكة بهاتفها هي الأخرى ، تنظر إلى شاشته لترتفع رأسها حتى تنظر إليه بذهول ، نظر مليئة بالدهشة، والخوف، والاشمئزاز من كل شيء ، نعم ، هذا "المجهول" كان أخوها الأكبر في يوم من الأيام ، وهذه "المجهوله" كانت أخته الصغرى الوحيدة التي كان دائمًا يرى فيها البراءة والطيبة.

قطع كل هذا صوت "إسماعيل" وهو يقول وينهض من جلسته:

- تصبحوا على خير ياجماعه أشوفكم بكره.

استغرب الجميع موقف "إسماعيل" واقترحوا عليه أن يستمر معهم في سهرتهم ، فهم سيحاولون عمل أي شيء آخر بعد هذا الحوار المتعب للجميع ، فرفض "إسماعيل" رفضًا قاطعًا ، ثم نظر نظرة أخيرةإلى "أسماء" التي كانت تنظر إليه بدورها ، واستدار وذهب بعيدًا عنهم.

****

كان "مروان" مازال شاردًا فيما حدث ، شاردًا في حديث "أروى"، شاردًا في كل شيء ، حتى قطع شروده صوت وصول رسالة على هاتفه ، فأمسك بالهاتف وقام بفتح الرسالة ، ليجدها من "روان" أخت "أروى"..

" لو سمحت يامروان لو أنت موجود مع أروى دلوقتى ياريت تبعد عنها وتكلمني لأني عيزاك في موضوع ضروري".

طريقة "روان" في الرسالة كانت تعبر عن الجدية ، فقام بإستئذان الجميع ونهض من مكانه ليذهب ليتصل بها ، ليأتي صوتها بطريقة حادة من الجهه الأخرى:

- إيه يامروان عامل إيه؟

- أنا تمام يا روان في حاجه ولا إيه قلقتيني؟

فقالت:

- ممكن تفتح"الواتس آب" بتاعك وتشوف الصوره اللى هبعتها لحضرتك؟

- في إيه يا روان قلقتيني بجد!

فأتى رد "روان" بطريقةً حاده:

- اعمل اللي بقولك عليه يا مروان عشان أنا ولا طيقاك ولا طايقه أروى.

- يا بنتي فيإيه طيب اللي حصل.

- ممكن تنجز؟

فتح معرض البرامج ليختار برنامج "الواتس آب" ليفتحه.. تسمّر فى مكانه من تلك الصوره المبعوثه من "روان"..

صوره لفتاة عارية يظهر نصفها العلوي دون وجهها ، وهاتف تمسكه بيدها وتضعه في منتصف هذا الجزء.

لا يعرف لمن تلك الصوره ، ولا يعلم لماذا أرسلت له "روان" صوره بذلك الشكل المزعج ، فقام بإعادة الاتصال "بروان" حتى يقوم هو بالبدء في الحديث بصوتٍ جاد وعالٍ:

- إيه ياروان القرف اللي إنتي بعتيه ده ؟ يعني ده ينفع بزمتك؟!!

ليأتي صوت "روان" ساخراً:

- لا والله؟ يعني أنت مش عارف ديه صورة مين حضرتك؟

- لا معرفش ديه صورة مين وأعرف منين ياروان ما تتكلمي كويس.

فجاء صوت "روان" بنفس النبرة:

- ديه صورة أروى يا أُستاذ مروان ، لقيتها على تليفوني وأنا بقلب فيه بالصدفة ومعرفش جت منين ، أنت عارف بقى النت لما بيفصل الواحد مش بيلاقي حاجه يعملها غير إنه يلعب في الصور اللي عنده.

صُعق "مروان" من كلامها متلعثما فى الرد عليها..

- أروى؟ إنتي هبله؟ أروى إزاى ؟ إنتي إيه اللي بتقوليه ده.

- إيه اللي بقوله؟ اللي بقوله يا أستاذ مروان إن أروى كانت بتبعتلك أنت الصور ديه . وإحنا اللي كنا معتبرينك الراجل بتاعنا وكنا معتمدين عليك ، تخلي أختي تعمل كدا معاك ؟

ليرتفع صوت "مروان" وكان قد جنونه من كلام "روان" فكان خرج عن طوره فعلًا وكان من النادر أن يحدث ذلك معه ؛ فهو هادىء بطبعه حتى في أصعب الظروف والمواقف.

- إنتي بتقولي إيه ياروان؟!! إنتي بتقولي إيه!!إ نتي شاربه حاجه وجايه تفوقي عليا ، أروى مين اللي هخليها تعمل كده..أروى مين اللي هخليها

تبعتلي صورها بالمنظر الزباله ده ، أنا أعرف أروى من يوم ما كانت لسه عيله صغيره وكبرت معايا وقدامي ، فكرك ممكن أخليها تقل من نظري بالطريقه الزباله والحقيره اللي إنتي بتقولي عليها ديه...أقسم بالله يا روان لو ما بطلتيش أسلوبك المستفز معايا ده أنا هديلك بالجزمه على دماغك.

كانت مصعوقة من كلام "مروان"؛ فهي ولأول مرة تجده بهذه الطريقة حتى بدأت تشك في الأمر وواصل مروان كلامه:

– شوفي يازباله إنتي بتعملي إيه في تليفونك ، وأروى إيه اللي هيخليها تمسك تليفونك وتتصور بيه ، شوفي إنتي حملتي الصوره الزباله ديه من أنهي نيله على دماغك ، وجايه تتهميني أنا وأروى بالطريقه ديه.

حاولت "روان" إيقاف هذه المشادة بينهما ، وحاولت أن تقلل التوتر وقالت بنبرة تغيرت من السخط إلى الرجاء:

– طيب إهدى يامروان ، اهدى بالله عليك ، والله معرفش أنا إزاي فكرت في كده ، بس ديه أروى ، ديه أختي إزاي مش عارفاها يعني؟ وبعدين لو ركزت هتلاقي إن التليفون اللي موجود في الصوره تليفونها.

فواصل "مروان":

– وإنتي إيه اللي يثبتلك إنها أختك ياست هانم؟ وإنتي إزاي وصلتي بالحقاره إنك أصلًا توصفي أختك بالوصف اللي إنتي قولتيه ده ، عرفتي منين ووشها مش باين أصلًا.

– يامروان صدقني دي أروى ، ومينفعش طبعًا أوضحلك ، بس اللي أثبتلي كل ده هو تليفون أروى اللي هي مسكاه في الصوره..

تجاهلها "مروان" للحظة وذهب ليتصفح الصورة مرة أخرى . نعم، هو هاتف أروى بالفعل.. ولكن ما هذا؟!! ما سر وراء تلك الصورة؟!!

فقام بمتابعة الكلام مع "روان" وكان قد خفف من حدة صوته قائلًا:

– طيب اقفلي بقى على الموضوع ده لحد ما أنا هعرف بطريقتي إيه الهبل اللي بيحصل ده.

– طيب يامروان استنى.

– ممكن تسكتي؟ وهتعملي اللي بقولك عليه ، محدش يعرف بموضوع الصوره ديه خالص،

ولو حد عرف صدقيني هتزعلي مني ، لحد ما أنا أكلمك وأقولك اللي حصل.

– ماشي يامروان اللي تشوفه.

أغلق الخط ، وكان في عالم آخر من الدهشة والحيرة ، حاول ربط كلام أروى بتلك الصورة ، هي اعترفت أنها كانت تريد أن تخونه ، اعترفت فهل كلام "أسماء" صحيحاً.. عندما قالت ما أدراك بأنها لا تخونك بالفعل؟!!

هل هذا حقيقيا؟.. ليفيق من كل هذا على ملامسة يد ليده المتدلية بجانبه ، ليرى "أروى"أمامه.

– إيه يامروان مالك؟ في إيه ، أنا سمعت صوتك العالى كنت بتتخانق مع مين؟

– أبدًا يا أروى ناس زمايلي كنت متخانق معاهم ولسه شادد مع واحد منهم في التليفون ، إنتي إيه اللي قومك؟

- اتخنقت، والجو بقى كئيب أوي هناك ، وغير كده عايزه أتكلم معاك شويه.

لمح تعابير وجهها المتغيرة ، فحاول أن يعطيها مجالاً للكلام.. لتبكي فجأةً حتى شعر مروان بأنه هو المذنب في حقها ، دون أن يحدث بينهما كلام من الأساس تجاه هذا الموضوع ، ثم قالت والدموع تغطي وجهها:

- أنا آسفه يامروان ، أنا اكتر واحده زباله أنت عرفتها في حياتك.

لتهوي على الأرض ممسكةً بقدمه ، ودخلت في نوبة بكاء هيستيرية ..لا يستطيع أن يفعل شيئًا أو يفكر في شيءٍ مما حدث الآن ؛ يشعر وأنه قد فقد قدرته على النطق أو الحركه.

****

تجلس "ميار" في مكانها تفكر وتفكر، تحاول أن تجمع شتات أفكارها وتأتي بفكرة صائبة تخرجها من مأزقها الذي وضعت نفسها فيه.

كانت تحتاج أن تتحدث مع "إسماعيل" ، تتمنى لو تراه لو مرة أخيرة قبل أن تنقطع هي عن رؤيته مرةً أخرى...هكذا قررت..!

كانت تُمسك بهاتفها وترى رقم "إسماعيل" أمامها ، وهناك ألف يد تسحبها حتى لا تقوم بالضغط على زر الاتصال ، ليأتي فجأة وبدون أي مقدماتٍ ويظهر اسم "إسماعيل" أمامها كمتصلٍ ، شعرت بفرحٍ داخلي لا تستطيع وصفه ، أخيرًا ستسمع صوته ؛ فصوته فقط كافياً..بأن يخرجها من أسوأ حالاتها ،فقامت وبسرعة بالضغط على زر الرد

- إيه ياخواجه عاش من سِمع صوتك ياراجل وحشتنا ياجدع.

فأتى صوت "إسماعيل" كما لم تعتده من قبل:

- إنتي فين يا ميار؟

شعرت بالقلق ؛ هل علم أنها خارج الإسكندرية؟ وذهبت لقضاء عطلة مع أسرتها وأنها لم تخبره؟ ولكن لماذا فكرت في هذا الموضوع؟..هو لم يعطّ اهتمامًا من قبل في ذهابها إلى أي مكانٍ دون علمه.

فقالت بلهجة سريعة:

- أنا في دهب يا إسماعيل.

صمتٌ تام حتى جاء صوته مغيرًا كل توقعاتها:

- إنتي فين في دهب بالظبط؟ وروحتي هناك إزاي؟

فشرحت له كل شيء منذ أن أخبرها أخوها بالذهاب إلى رحلة إلى مدينة دهب مع مكتب جديد يقوم بترتيب رحلة إلى هذا المكان ، وأخبرته باسم المكتب ؛ مكتب الأمل.

****

كانت تبكي ، كانت تردد كلمات الأسف في حين كان "مروان" يقف أمامها مصعوقًا مما يحدث لا يفهم شيئًا ، فجلس أمامها على الرمال ، وحاول أن يرفع رأسها بيديه ، كان يشعر بكل الحنين والأسف على حالها..

عاجزًا عن فعل أي شيءٍ لها ، غطت الدموع وجهها بالكامل حتى رفع رأسها باتجاه وجهه.

- أنا غلطت في حقك يا مروان ، أنا عملت كل حاجه مافيش راجل يقبلها على نفسه.

كان كلامها يشير بأنها لا تعلم بموضوع تلك الصورة التي أرسلتها "روان"إليه ، وكانت في ذلك الوقت تشعر بالندم على ما فعلته ، فقال محاولًا أن يخرجها من حالتها الهيستيرية:

– والله يا أروى أنا مسامحك من غير ما اعرف أي حاجه ، مش عايز اعرف أي حاجه وأنا مسامحك صدقيني ، بس حتى لو أنا مش عارف حاجه أوعديني إنك متكرريش الغلط ده تاني.

فقالت بسرعة وكأن كلماته كانت كطوقّ النجاة أخيراً:

– والله يامروان أوعدك ، والله العظيم أوعدك..

دخلت في نوبة جديدة من البكاء ، حتى قام مروان بسحبها إلى الأعلى ليقفا مستقيمين أمام بعضهما البعض..

– بس صدقني أنا مش هقدر أعيش بعد كده من غير ما احكيلك اللي حصل ، لازم تعرف يامروان ، عشان حتى لو أنت مقبلتش ده متبقاش عايش معايا وأنا حاسه إني بخدعك.

كان يتمنى لو يعرف ، ولكنه في ذلك الوقت لا يريد سوى أن تخرج "أروى" من حالتها، كان يتعذب بسببها ، كانت مشاعره متضاربة ووصلت أقصى الحدود من التضارب والتعب.

– من حوالي شهر وفي موقع على النت بيخليك تكلم أى حد موجود في أي مكان ومتبقاش عارف عنه أي حاجه عشان بتدخل من غير ما تكتب اسمك... اللي خلاني ادخل على الموقع ده إني حبيت أجرب حاجه جديده، صدقنيأنا بحبك جدًا وعايزه أعيش طول عمرى في حضنك أنت وبس. بس والله أنا ما اعرف عملت كل ده ليه!!.. كنت بدخل على الموقع ده

بشكل يومي، كنت بتكلم مع أي حد ألاقيه قدامي، كنت بقول ألفاظ وكنت بقول كلام مقدرش أقوله في الحقيقة قدام أي حد،أو أي مخلوق حتى لو قدامك..

كانت تحاول جاهده أن تُكمل كلامها من خلف دموعها..

– لحد ما فى يوم ، كان من حوالي أسبوع ؛ دخلت اتكلمت مع واحد ، حبيت اتكلم معاه مش عارفه ليه.. يمكن بسبب طريقته اللي ملقيتهاش فيك ، كان قاسي أوى علي ، كان بيعذبني بكل كلمة وكل تصرف كان بيتصرفه حتى كان أول طلب ليه.

سكتت.. بكائها يعلو أكثر وأكثر، فحاول تهدئتها وحسِها لمتابعة الكلام ، فكان فضوله يقتله.

– لحد ما طلب مني إني أقلع هدومي وامسك تليفوني واتصور بتليفون تاني من أي حد في البيت عندي... فعملت ده واتصورت بتليفون روان وبعتله الصوره ، بعد كده كل يوم كنت بتكلم معاه في وقت معين بليل ، بقول كلام مش عارفه بقوله ليه ، قولتله إني بكرهك يا مروان ، كانت جوايا حاجات فعلًا بتكرهك... بس لما دورت لقيت إن الحاجات اللي بتكرهك ديه هي الحاجات الليأنت طول عمرك مش عايزني اطلعها، عشان أنت عمرك ما كنت عايز تشوفني وحشه..

كانت أنفاسها سريعه ومتلاحقه تحاول أن تبعد نظراتها عن "مروان".. وبحركة منه كانت لا تتوقعها "أروي"..بضمها إلى صدره وأخذ يبكي بين أحضانها..

– والله العظيم مسامحك ، أبوس إيدك متعمليش في نفسك كده ، عادي كلنا بنغلط ، بس بالله عليكي متعمليش كده تاني ، والله العظيم هموت من غيرك أو فكرتي بس إنك تبعدي عني.

– والله مش هيحصل تاني ، أنا آسفه ، أنا غلطت في حقك ، بس متبعدنيش عنك.. سامحني أنا أسفه.

قام برفع رأسها لأعلى حتى تكون ليقبلها قبلة طويلة على شفتيها.

– صدقيني عمري ما هحب حد قدك ياكوكي ، أنا بحبك.

– أنا كمان بحبك ياحياة قلبي.

****

حين أنهى "إسماعيل" حديثه مع "ميار" كان مذهولًا من كل ما يحدث له في هذا اليوم ، وجد ملكة قلبه "أسماء" التي كانت لا تفارق خيال ه، ولكنه وجدها على حقيقتها عكس ما كان يتخيله..

قرر أن يُحادث "ميار" ليتفاجأ أنها في نفس الرحلة ، وجد "أسماء" بطريقة غير مفهومة ، وكانت "ميار" بجانبه طوال الوقت ولا يشعر بها.. أنهى حديثه معها واتفقا أن يتقابلا على شاطىء الفندق الكبير، ليلمحها من بعيد ، فنادى عليها حتى أتت ملبية نداءه.. كانت تحمل ملامح الدهشة والحيرة ؛ فهي جاءت إلى هذا المكان حتى تبعد "إسماعيل" تمامًا عن رأسها وتخرجه من حياتها وتتركه مع الملعونة التي لا تفارق خياله ، لتجده يقف أمامها.

– مالك ياحبيبي فيك إيه؟ احكيلي بسرعه إيه اللي مضايقك؟

ابتسم "إسماعيل" ومع ابتسامته سقطت دموعهُ قائلًا:

– مالي؟ أنا كل ده عايش على وهم.

- احكيلي مالك بسرعه بالله عليك متقلقنيش عليك...أنت بتعيط ليه دلوقتي يابني؟

تغيرت نبرة صوتها لتبكي هي الأخرى مع "إسماعيل" ، ولا تعرف سبب بكائها إلا أن قلبها ينفطر من أجل روحه المعذبة أمامها.

- طول عمري كنت بدورعلى أسماء وكنت بحبها في خيالي ، كنت برسملها أحلى صوره ، عمري ما رسمتلها صوره وحشه أو لقيتها بتجيلي فيأ حلامي بشكل يخليني أغير فكرتي عنها ، بالعكس فى كل مره بتخيلها كنت بحبها أكتر... لحد ما الأيام تعدي واشوفها أخيرًا. ويوم ما أشوفها ألعن اللحظه اللي أنا قررت فيها إنى أمشي في الطريق عشان اطلع الرحلة دي ، أنا لسه شايفها دلوقتي... شوفت أسماء ، شوفت أصحابي اللي ماشوفتهومش من ١٨ سنه ، وكانت أسماء من ضمنهم ، قلبي وجعني عليها ، وجعني على حالها اللي وصلت ليه ، بس دي بدل ما تخرج من اللي هي وصلته لا دي بتتمادى بأستفزاز.. قالتلي كلام يا ميار خلاني فعلًا أحس إني عيل صغير وعبيط مش فاهم أي حاجه في الدنيا اللي حواليا... أنا كنت بحبها طول عُمري ، إنما هي اعترفتّ وقالت إن عمرها أصلًا مافكرت فيا من بعد ما بطلنا نشوف بعض...

كان يتكلم وكانت دموعه تتساقط وكانت تشاركه "ميار" نفس الحالة..!!

- بعد كده اكتشفت إني عمري ما حبيتها يا ميار ، فعلًا إنتي زي ما قولتي كان حب طفولي... فعلًا كان حب طفولي وهي كمان قالت كده... عارفه أنا لو هتعلق بحد المفروض اتعلق بمين؟!.. المفروض يكون قلبي متعلق بمين ، حتى لو ماكنتش واخد بالي من كل ده؟.. إنتي يا ميار..!

ابتسمت ابتسامة لطيفة من خلف دموعها.

- إزاي يا إسماعيل مش فاهمه؟

- لأني فعلًا ماشوفتهاش من زمان ولا اعرف عن أسماء أي حاجه لحد ما الوقت عدى عليا وقابلتك في يوم من الأيام... تعرفي يا ميار إن كل حاجه حلوه إنتي كنتي بتعمليهالي أنا كنت بتخيل إن أسماء هي اللي بتعملها؟ فكان حبي بيزيد ليها اكتر، مع إنك إنتي اللي كنتي بتعملي الحاجه ديه... بس أنا كنت أعمى ، مكنتش شايف الحاجه اللي بين ايديا وماشي ورا سراب في دماغي برسمه ، إنتي الوحيده يا ميار اللي بحب أتكلم معاها وبجري عليها عشان أكلمها سواء فرحان أو مخنوق حتى دلوقتي ،أنا ملقتش حد أتكلم معاه وافضفضله غيرك..

ابتسمت "ميار" وحاولت تلطيف الأجواء ، فكان قلبها يكاد يخرج من مكانه لفرحتها بكل ما قاله..

- عشان تعرف بس ياعم إن أنا جمبك على طول ومقدرش أبعد عنك ، وصدقني هفضل جمبك لحد ما تحقق حلمك اللي نفسك فيه.

- إنتي أول حلم لازم أحققه يا ميار.

شعرت بالخجل ولتدارى خجلها إستدارت لتنظر إلى البحر..

- في كل مره كنت بقعد معاك كنت ديمًا تقولي عايز تعرف إيه اللي وره البحر، بص هناك كده يا إسماعيل في وسط الضلمه ، حلمك هتلاقيه وراه ، وأنا صدقني هفضل جمبك ومش هسيبك.

لتسمع صوت ضحكة قوية من "إسماعيل" لتنظر إليه بدهشة ليقول وهو يمسح دموعه.:

- حلو أوي الكلام ده، جميل ، وكلامك كله حماس ، بس الكلام الل أنا كنت بقولهولك ده كان هناك في إسكندريه ، وأنا كنت بقولك عايز أروح ألمانيا ، دلوقتي إحنا في دهب و ده البحر الأحمر ياهانم ، اللي وره الضلمه اللي هناك ديه السعوديه، إنتي كمان فاشله في الجغرافيا؟

فضحكت ضحكة عالية وضحك معها ، ليقوم بالاقتراب منها ليشُبك يدها في يده ، ولأول مرة تشعر بذلك الشعور الجميل ؛ شعر برجفتها الخفيفة بين يديه ، ثم قال الكلمة التي كانت ميارتتمنى أن تسمعها:

- أنا بحبك يامیار.

****

نهض من مكانه هو الآخر بعد أن ذهب مُعظم الأصدقاء ، فأستأذن من "حنين" و"أسماء" حتى تفرقا هما أيضًا ، وبذلك إنتهت جلستهم.

كان يمشي في ساحة الفندق حتى وجد مكانًا جيدًا يستطيع للجلوس أمام إحدى حمامات السباحة ، كان يشعر بالندم في كل ما فعله ، فعلتهُ الأخيرة التي فعلها وكانت "أروى" هي الضحية ، وهو يشعر بأنه نادم على جميع أفعاله ، ليس في حقها فقط بل في كل شخص مر في حياته وقام هو بجرح مشاعره.

كان شاردًا في الفراغ من حوله ، ليجد "مروان" أمامه يقف بعيدًا عنه ، وبحركة مفاجئة ، نهض من مكانه ليذهب إليه ، يريد أن يقوم بتدمير علاقته مع "أروى" ، نعم ، كانوا أصدقاء طفولته لكنه الآن أصبح صديقًا للشيطان.

- مروان عايزك في كلمتين معلش.

- إيه ياخالد؟

- عايز بس اقولك على كام حاجه كده.

- قول يابني متقلقنيش.

فقام "خالد" بإمساك هاتفه وفتح أستوديو الصور الخاص به ، ثم أعطى الهاتف "لمروان"..

- إتفضل ياباشا ، حبيبتك أروى اللي أنت عايشلها كلب تحت رجليها بتخونك زي ما قالت من شويه.

فأمسك "مروان" بالهاتف وبدأت ملامح وجهه تتغير تدريجياً، بات مذهولًا من كل مايراه أمامه..

- أنت جِبت الصور ديه منين.

- أبدًا ياسيدي ، كنت بتسلى بالصدفه ووقعت أروى تحت إيدي ، بس إن جيت للحق مكنتش أعرف إنها أروى ، ولما عرفت حبيت أقولك ياصديقي ، إنت عارف بقى أخاف عليك يحصلك زي ما حصلي ، وقولت اعرفك.

كان "مروان" مصعوقًا ، فبدأ يتكلم وكأنه يحادث نفسه ، ومازال يعبث بالصور:

- ليه يا أروى؟!! ليه تعملي كده؟!! ليه كل ده؟!!

ليرد "خالد" بنبرة ساخره:

- ليه عملت كده؟! عشان أنت عبيط ومغفل يابيه ، أنا واحد كنت قاعد على النت بتكلم مع أي حد لقيت ديه في وشي وزي ما قولتلك معرفش إنها أروى ، ولسه عارف دلوقتي.

قام "خالد" بفتح الرسائل الخاصة بينه وبين "أروى" وأعطاها "لمروان" ليشاهدها ، ليستمتع "خالد" بكل التغيرات التي تظهر على وجه "مروان" ، فكان يشعر بشعور الانتصار!! أيًا كان هذا الشخص قريبًا منه أو بعيدًا ؛ فهو لا يهمه سوى أن يستمتع بذلك الشعور.

أعطى"مروان" الهاتف "لخالد" قائلًا:

- بالله عليك متفضحهاش ، حتى لو هي وحشه أوي كده ، بس اعمل حساب إننا أصحاب من زمان يا خالد ومتربيين مع بعض، ورحمة أخوك ياسين..!

يفيق "خالد" من شروده ليجد نفسه مازال في مكانه ، وكان كل ماحدث منذ قليل مجرد وهم تم عرضه داخل جمجمته الملوثه..

بحركة تلقائية قام بفتح معرض الصور وقام بمسح كل الصور التي أرسلتها له "أروى"، وقام بمسح جميع المحادثات بينهما ، وقرر أن يغلق هذا الموضوع نهائيًا ، فمن المستحيل أن تصل به الدناءة ليحطم قلوب أشخاص كانوا في يومًا من الأيام أصدقاء الطفولة بالنسبة إليه.. يلمح شخصًا ما ليدقق في ملامحها ليجد "حنين" تقف بالقرب منه ، نهض من مكانه ليقف أمامها لتلمح هي نظرة الحزن والضعف تغطي ملامحه ، فقالت حنين متسائلة:

- مالك يا خالد؟

كان خالد يكره تلك الكلمة ، كان يكرهها ؛ لأنه دائمًا يحاول ألا يكشف حزنه أمام أحد ؛ لأنه دائمًا يسمعها من أشخاصٍ يجدهم غير جديرين بحزنهِ ، ولكنه سمعها منها بطريقة جعلته يتراجع عن فكرته أو كان يحاول أن

يوهم نفسه بأنها صادقة.. يريد أن يتخلص عما بداخله ، وكانت هي ذلك الشخص الذي كان يبحث عنه "خالد" في ذلك الوقت بالذات ، فقال دون أي مبرراتٍ أو أي نقاش:

- تعبان ياحنين ، أنا تعبان ، تعبت من كل حاجه.

هي تحمل الكثير داخل قلبها ؛ تعرف إنه من المتعب كتم الأسرار، وعدم البوْح بها لفتراتٍ طويلة فقالت حنين مهونة:

- صدقني ياخالد كلنا تعبانين ، بس أنا مقدره اللي أنت فيه حتى لو معرفوش ، كل واحد فيه همه اللي مكفيه ، وكلنا مفكرين إن اللي جوانا هو اكتر حاجه وحشه ممكن تحصل لحد في حياته ، لو تسمحلي ممكن تتكلم وتحكيلي إيه اللي مضايقك.

- عندك حق ، كل واحد مفكر مشاكله هي محور الكون ، مش بنشوف إن فعلًا في ناس حوالينا عندهم مشاكل اكبر بكتير، بس اللي حصلي مش قليل... كنت عايش حياه عاديه وأنا صغير زي أي حد ، مش شاغل دماغي بأي حاجه ، عندي أب وأم مهتمين بكل حاجه في حياتي ، وأخويا كان هو سندي في الدنيا حتى لو كنت لسه صغير، بس كنت بحس إني مش لوحدي وفي حد جمبي ومن دمي ، لحد ما كلهم بعدوا عني مره واحده ، كلهم سابوني لوحدي... عارفه يعني إيه أكون معتمد عليهم كلهم ويكونوا هم أساس حياتي وفجأه كل ده يضيع في لحظه؟!! لحد ما حاولت أتأقلم مع الموضوع وبرضه محدش فيهم كان بيفارقني. على طول فاكرهم ، عارفه يعني إيه أبقى عندي ١٨ سنه وعايش لوحدي في بيت كبير، مليش قرايب ولا حتى أصحاب ؟ فضلت أدور على صاحب يبقى قريب مني لحد ما فشلت ، وكل ما كنت بقرب لحد كنت بكتشف الجانب الأسود منه بعد ما

أبقى اتعلقت بيه ، ولما ربنا كرمني ببنت حبيتها من قلبي وكنت بعمل كل اللي بتتمناه خانتني وبعدت عني ، وأقرب مثال حصل من شويه قدامك لما أروى اعترفت إنها عايزه تخون مروان على الأقل هي اعترفت وقالت اللي جواها ، أكيد حست بتأنيب الضمير استحملت معاها يا حنين كل حاجه تقدري تتخيليها ، جيت على كرامتي عشانها ، خسرت كل صاحب ليا كنت بحاول أخليه جمبي بسببها..رميت طموحاتي كلها عليها لحد ما هي كمان بعدت عني وسابتني لوحدي ، كرهت كل حاجه جوايا تخليني اتعلق بأي حد ، ومن ساعتها وأنا بقيت حاسس إن قلبي مبقاش موجود في مكانه... الجزء الأسود مني بدأ يطلع ، بدأ هو اللي يتحكم فيا تحكم كامل ، مبقتش قادر أسيطر على نفسي وتصرفاتي..

كان يتكلم ولا يبالى بدموعه التي تتساقط أمام "حنين" ؛ فكان يكره أن يظهر بكامل ضعفه أمام أح د، ولكنه كان في طوْر الضعف والحزن ، فكانت تراقب كل كلمة تخرج منه حتى كادت تبكي معه ، ،وبحركة لا إرادية منها قامت بمسح سيْل الدموع من على وجهه ، شعر هو برجفة كبيرة تسري داخله ، يشعر بالخجل من نفسه مما حدث.

– عارف ياخالد؟ أنت في حاجات كتير من اللي قولتها قريبه مني وحسيت بيها،أنا كمان عايشه لوحدي، بس الفرق بيني وبينك إن أنا اللي رفضت بنفسي أعيش مع أبويا وأمي، هم اللي بعدوا عني بمزاجهم، سابوني وراحوا يعيشوا بره مصر، ولما قولتلهم إني هفضل هنا حتى ما هانش عليهم يفتحوا معايا الموضوع تاني ، تحس إنهم ماصدقوا سابوني ومشيوا..! و أهو يا سيدي عايشه والدنيا جميله..! كنت مستحقراك أوي بصراحه بس في نفس الوقت كنت عارفه ومقتنعه إن جواك سر وحبيت أعرفه ، حبيت أعرفه

مش هضحك عليك آه من باب الفضول ، ومن باب إنى اتعلقت بيك من أول ما شوفتك.

ابتسم "خالد" من خلف دموعه:

– ويوم ما تتعلقي بحد من أول مره تشوفيه متلاقيش غيري؟ ياحنين أنا أول مره شوفتك كنت عايز أجيب أخرك عشان يبقى مصيرك زي مصير أي حد أعرفه..

– لا متقلقش مكنتش هتعرف مش كل الناس زي بعضها و بعدين كل حاجه هتتحل يا خالد..!

فقاطعها قائلًا:

– مافيش حاجه هتتحل طول ما أنا لوحدي..

أخذته بين ذراعيها لتضمه بقوة ، ليضع رأسه على كتفيها بدون إرادة منه ، ويبكيان سويًا..!

يتحرك جزءٌ داخلها هي لا تعرفه ، شعور بالحنين الذي لا تعرفه وشعورًا آخر يجعلها تتمنى لو يبقى "خالد" بين أحضانها إلى الأبد ، أما "خالد" فكان في حالة بكاء هيستيري كلما ضمته أكثر إليها ، كان يحاول أن يجد فيها الأمان الذي فقده منذ زمنٍ..

فكانت تبكي لبكائه ، ولا تعرف لماذا يحدث أو حدث كل هذا ، لتسمع هي أنينهُ المكتوم ، وتزيد هي من ضمه أكثر، حتى خرجت صرخة مكتومة خالد لتزلزل الصمت من حولهما وتكون هي عنوان الموقف وسيدة الفراغ من حولهما.

****

تقف أمام شاطىء البحر لتأخذ آخر جرعاتها من الشامبانيا ثم تلقي بالزجاجة الفارغة بعيدًا ، وتضحك دون سببٍ ، ولكنها كانت تعلم السبب جيدًا، كانت تشعر بأنها على حافة الانهيار؛ قاست الكثير في حياتها ، ورأت الكثير من حولها يطمعون فيها دون سببٍ ، فكانت تقف لهم بالمرصاد ، كانت تحلم بأن تكون أفضل ، ولكن ماعادت أحلام الماضي تكفيها وترضيها... رفعت رأسها إلى السماء وكان الهواء يعبث بخصلات شعرها ، تنظرإلى السماء ولا تعرف السبب ؛ هل هذه الطريقة التي تعلن بها الحداد على أحلامها؟!

فترة حداد لأحلام اغتالها القدر، تشعل سيجارةً أخرى..

"إسماعيل"؟ أتى اسمه على شفتيها بدون إرادة منها ، فكانت تقول وكأنها تحدثه كرسالة وداع إلى الأبد..

- أنا عمري ما حبيت حد قدك ، بس كان لازم تشوفني بالقرف اللي وصلتله ، وكان لازم أبعدك عني ، أنت طول عمرك نضيف حتى لو مشوفتكش من زمان ، بس طول عمري واثقة إنك هتفضل زي ما أنت ومحافظ على نفسك من قرف الدنيا ، أنا قولتلك كل ده عشان أبعدك عني وتبطل تفكر فيا تاني... شوف حياتك يا إسماعيل مع حد يستحقك ويكون أنضف مني ، أنا بحبك وهفضل أحبك..

لتضحك مره أخرى فمازالت أثار الكُحول تعصف بها ..تمسح دموعها .. ها قد عادت وحيدةً مرةً أُخرى..

- حلو أوي الفيلم الهندي اللى حصل من شويه ده..

لتنتهي من همسها وتبدأ بغناء الأغنية مع ذلك اللحن الذي لا يفارق عقلها منذ فترة وهي تسير على الشاطىء الرملي ليملأ صوتها القوي الفراغ من حولها ، فقد أبدع "كاظم الساهر" في غنائها ، وتبدع أسماء مرة أخرى في ترديدها..

" ضاقت علىَ كأنها تابوتُ لكّنما يأبي الرجاء يموتُ..

يا صاحبيِ إن غبتُ عنكَ مودعاً بعد الرحيل ينفعُ الياقوتُ.!

عجل فقد سحقَ الزمانُ مشاعريِ بركانُ شوقي هائجْ مكبوتُ تبكي وتندم فى غداً لكنماْ واضيعتاهُ اذا الاوانُ يفوتُ.."